صوت الصعاليك
مجلة عراقية إغبارية إلكترونية
Alsaalek Journal
ثقافية سياسية فكرية

على حافة الرصيف

ربما يكون من الخطأ التعامل مع قضية نزع السلاح باعتبارها عملية تقنية يمكن حلها بقرار حكومي. فالسلاح في العراق أصبح مرتبطاً بالسياسة والاقتصاد والنفوذ والهوية وبشبكة واسعة من المصالح. ولذلك فإن السؤال الحقيقي لا يتعلق فقط بكيفية سحب السلاح، وإنما بكيفية إعادة تعريف العلاقة بين الدولة والقوى السياسية والمجتمع.

لقد نشأت الفصائل المسلحة في ظروف تاريخية وأمنية معقدة، وشاركت تشكيلات عديدة منها في الحرب ضد تنظيم داعش. لكن انتهاء تلك الظروف أو تغيرها يفرض سؤالاً جديداً: هل يبقى السلاح خارج المؤسسات الرسمية قادراً على اتخاذ قرارات مستقلة في الحرب والسلام بعد أن أصبحت الدولة تمتلك مؤسساتها الأمنية والعسكرية؟

هذه هي المسألة التي ينبغي أن يناقشها العراق بعيداً عن الشعارات. فالمطلوب ليس إلغاء التاريخ، ولا إنكار تضحيات من قاتل الإرهاب، وإنما الانتقال من مرحلة تعدد مراكز القوة إلى مرحلة تكون فيها كل القوة المسلحة خاضعة للقانون والدستور.

والطريق إلى ذلك يحتاج إلى عقل سياسي، وليس إلى مواجهة عسكرية داخلية. ففرض نزع السلاح بالقوة في ظل الحرب الإقليمية يمكن أن يؤدي إلى انفجار داخلي خطير، بينما ترك الملف مفتوحاً يعني استمرار ازدواجية السلطة. ولذلك فإن الخيار الأكثر واقعية يتمثل في مسار تدريجي يقوم على الدمج القانوني للمؤسسات والتشكيلات التي يسمح بها الدستور، ومنع أي قوة من الاحتفاظ بقرار عسكري مستقل، وتجريم استخدام الأراضي العراقية لتنفيذ عمليات ضد دول أخرى.

السؤال الذي ينبغي طرحه بصراحة هو: **ماذا يريد الإطار التنسيقي؟**. هل يريد الإطار التنسيقي دولة قوية أم يريد الحفاظ على توازن القوة الذي نشأ بعد 2003؟
ليس المقصود هنا وضع جميع أطراف الإطار في خانة واحدة، فهذا سيكون تبسيطاً غير منصف للمشهد السياسي العراقي. لكن من الواضح أن بعض القوى السياسية داخل هذا الإطار تجد نفسها أمام خيار صعب: دعم حكومة الزيدي في مشروعها لبناء الدولة، أو حماية نفوذ الفصائل التي تشكل جزءاً من البيئة السياسية التي تستند إليها.

والاختبار الحقيقي للإطار ليس في قدرته على حماية حكومة جاءت من داخله، وإنما في قدرته على مساعدتها عندما تتخذ قرارات قد تمس مصالح قوى قريبة منه.

فإذا كان الإطار يريد استمرار النظام السياسي، فإن مصلحته الحقيقية يجب أن تكون في حماية الدولة لا في حماية ازدواجية القرار.

أما إيران، فإن من حقها أن تحافظ على علاقاتها ومصالحها مع العراق، كما أن من حق العراق أن يحافظ على علاقاته مع إيران. لكن العلاقة بين دولتين جارتين ينبغي ألا تتحول إلى نفوذ يحدد طبيعة القرار الأمني العراقي أو مستقبل السلاح داخل البلاد.

العراق يستطيع أن يكون صديقاً لإيران من دون أن يكون تابعاً لها، كما يستطيع أن يكون شريكاً للولايات المتحدة من دون أن يتحول إلى قاعدة لها ضد إيران. وهذه هي السياسة التي يحتاج إليها العراق أكثر من أي وقت مضى.

لقد تعهد الزيدي بالمضي نحو حصر السلاح بيد الدولة، وربط ذلك بمرحلة انسحاب القوات المتبقية من التحالف الدولي. لكن هذا الملف يواجه مقاومة سياسية وعسكرية من فصائل قوية، بعضها يرى أن سلاحه يمثل جزءاً من معادلة الأمن والمقاومة، وبعضها يربط أي بحث في نزع السلاح بملف الوجود الأمريكي والنفوذ الأمريكي في العراق.

وفي خلفية هذه المواقف يقف الإطار التنسيقي باعتباره القوة السياسية الأهم التي ينتمي إليها عدد من الأطراف التي تمتلك تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على الفصائل المسلحة. أمام واحدة من أكثر المفارقات تعقيداً في النظام السياسي العراقي. في الوقت يحتاج الزيدي نفسه إلى اتخاذ قرارات قد لا تحظى بتأييد جميع مكونات هذا الإطار.

المحرر

Alsaalek Journal

"مجلة صوت الصعاليك"
سياسية ثقافية فكرية
غير ملزمة بنشر كل ما يردها

المقالات المنشورة تُعبر عن رأي كُتابها
والتحرير غير مسؤولة عن محتواها

2021 جميع الحقوق محفوظة
مجلة صوت الصعاليك

saaleq21@gmail.com
info@alsaalek.de

ساهم معنا في نشر الحقيقة

SAJ.Sawt Alsaalek Journal
www.alsaalek.de

متابعات

"الزيدي يبحث لتفكيك الأزمات"
والعلاقات التاريخية بين العراق وفرنسا وألمانيا تمثل أساسا.

صوت الصعاليك

كشف مصدر حكومي مسؤول، يوم الأحد 13 سبتمبر، عن تفاصيل وأهداف زيارة رئيس الوزراء العراقي علي الزيدي إلى كل من فرنسا وألمانيا.

وقال المصدر، لوسائل الإعلام، إن "زيارة الزيدي إلى فرنسا وألمانيا تكتسب أهمية كبيرة في ظل التحديات الاقتصادية والسياسية التي تشهدها المنطقة والعالم، ويسعى العراق من خلالها إلى توسيع آفاق التعاون مع القطبين الأوروبيين وتعزيز الشراكات القائمة على المصالح المشتركة والاستثمار والتنمية".

وأضاف أن "العلاقات التاريخية التي تجمع العراق بفرنسا وألمانيا تمثل أساساً مهماً لبناء شراكات مستقبلية متنوعة وشاملة، فألمانيا، باعتبارها صاحبة أكبر اقتصاد في أوروبا، تشكل قوة اقتصادية ومالية مؤثرة داخل الاتحاد الأوروبي، فيما تتمتع فرنسا بثقل سياسي وعسكري كبير، فضلاً عن عضويتها الدائمة في مجلس الأمن الدولي، ما يمنحها دوراً مهماً في دعم العراق وتعزيز حضوره وعلاقاته الدولية".

وأشار المصدر، إلى أن "العراق يتطلع إلى الاستفادة من الخبرات والتكنولوجيا الأوروبية المتقدمة، ولا سيما في مجالات الطاقة والصناعة والزراعة والنقل والبنية التحتية، بما يسهم في تطوير الاقتصاد غير النفطي وتنويع مصادر الدخل، كما أن الشراكات التمويلية والمشاريع المستدامة ستدعم اندماج الاقتصاد العراقي في سلاسل التوريد العالمية، ولا سيما تلك المرتبطة بمشروع طريق التنمية".

وتابع، قائلاً إن "أهمية الزيارة تتزامن مع قرب تنفيذ اتفاق إنهاء مهمة التحالف الدولي في العراق في 30 أيلول، الأمر الذي يفتح المجال أمام الانتقال بالعلاقات مـــع دول الاتحاد الأوروبي، وفي مقدمتها فرنسا وألمانيا، إلى مرحلة جديدة تقوم على الشراكات الاقتصادية والأمنية والتنموية، بدلاً من اقتصارها على التعاون التقليدي".

وأوضح أن "العراق بات أكثر استعداداً من أي وقت مضى لتطوير شراكاته الدولية، في ضوء ما يمتلكه من موارد طبيعية وثروات وإمكانات اقتصادية، فضلاً عن الاستقرار الأمني والسيادة الوطنية، ما يجعله شريكاً قوياً وقادراً على الدخول في شراكات استراتيجية ومستدامة مع الدول الأوروبية".

ووفقاً للمصدر، فإن الحكومة تعمل وفق رؤية تهدف إلى بناء اقتصاد قوي وتعزيز الاستثمار وزيادة حجمه، من خلال تنفيذ الاتفاقيات المبرمة وتحويلها إلى مشاريع فعلية تسهم في تحريك عجلة التنمية، وتستهدف زيارة فرنسا وألمانيا الانتقال من مرحلة توقيع مذكرات التفاهم والاتفاقات إلى مرحلة تنفيذ المشاريع على أرض الواقع، مبيناً أن "الزيارة ستشهد توقيع عدد من مذكرات التفاهم في مجالات الطاقة والأمن والنقل والثقافة، وهذه الخطوة ستسهم في توطيد العلاقات الثنائية وفتح آفاق جديدة للتعاون بين العراق والبلدين الأوروبيين".

كما بين أن "الحكومة اتخذت مجموعة من الإجراءات والخطوات لتهيئة البيئة المناسبة أمام الشركات الفرنسية والألمانية للعمل في السوق العراقية، من خلال توفير بيئة استثمارية آمنة ومحفزة، ويهدف استقطاب الاستثمارات الأوروبية إلى تطوير مشاريع الطاقة والبنية التحتية والنقل والصناعة، فضلاً عن البحث في فرص التمويل والشراكات طويلة الأمد".

وبحسب المصدر، فإن الاستراتيجية الحكومية تركز كذلك على تعزيز مساهمة القطاع الخاص في الاقتصاد من خلال دعم الصناعات التحويلية والزراعة والخدمات الرقمية، بـــــما ينسجم مع توجه العراق نحو تنويع الاقتصاد وتقليل الاعتماد على الإيرادات النفطية".

وختم المصدر الحكومي، حديثه بالقول إن "العراق يمتلك موقعاً جغرافياً وموارد وإمكانات تؤهله ليكون حلقة وصل اقتصادية مهمة بين الأسواق الإقليمية والأوروبية، والتوجه الحكومي الحالي يقوم على صياغة شراكة اقتصادية استراتيجية ومتوازنة مع أوروبا، ترتكز على الاستثمار والتنمية ونقل التكنولوجيا والمشاريع الاستراتيجية، وليس على العلاقات التجارية التقليدية فحسب".

وكان المتحدث باسم كتلة صادقون النيابية - الجناح السياسي لعصائب أهل الحق - محمد البلداوي قد أكدفي في حديث له مع وسائل الإعلام، في وقت سابق من يوم الأحد، أن زيارة رئيس الوزراء علي الزيدي إلى أوروبا تهدف إلى جذب الشركات الاستثمارية وفتح منافذ جديدة أمام الاقتصاد العراقي.

ووفقاً للبلداوي فإن الزيارة "ستكون فاعلة وإيجابية للعراق"، مشيراً إلى أنها ستركز على الاتفاقيات والمشاريع المهمة في مجالات منظومة التسليح والطاقة والنفط، إلى جانب المشاريع والاستثمارات في قطاعي الصناعة والتجارة.

وكان المتحدث الرسمي باسم الحكومة العراقية حيدر العبودي، قد أكد يوم الأحد، أن وفداً حكومياً برئاسة علي الزيدي غادر العاصمة بغداد متوجهاً في زيارة رسمية تشمل الجمهورية الفرنسية وجمهورية ألمانيا الاتحادية.

وبحسب العبودي، فإن الزيدي يستهل هذه الجولة الأوروبية من باريس، إذ سيعقد مباحثات مشتركة مع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون تتناول آفاق العلاقات الثنائية بين البلدين، وسبل تطويرها إلى مستويات متقدمة.

إدارة المجلة:

رئيس التحرير..... عصام الياسري — مدير التحرير..... د. سناء شامي
إدارة..... د. أشواق لطفي — تنسيق ..... ندا الخوام
رسوم..... الفنان منصور البكري — ويب..... فراس الزبيدي
تصميم: كامل عبدالله ... دان ميديا DAN media
تصدر مرتين بالشهر// في أول (1) ومنتصف (15) الشهر.. غير ملزمة بنشر كل ما يردها.

"صوت الصعاليك" عراقية مستقلة حرة...

انطلقت في 01 يناير 2021 من إيمان راسخ بأن الكلمة الحرة هي السلاح الأمضى في مواجهة الظلم والفساد.. وإن ـ على مهنة الصحافة ألا تنحاز إلا للحقيقة وحمل هموم الناس المهمشين، ومن لا صوت لهم .

منذ تأسيسها، حرصت على أن تكون منبرًا حقيقيًا يعكس صوت الشعب ويُعبّر عن همومه وتطلعاته.

«البعد المجتمعي» والتصدع الحقوقي

أثار هادي العامري (رئيس منظمة بدر) جدلاً واسعاً في أواخر آب/أغسطس وأيلول/سبتمبر 2026 من خلال خطابه في مهرجان اقتُصِر عقده بمحافظة النجف، حيث وصف تظاهرات وانتفاضة تشرين 2019 بـ «الفتنة».

وأبرز ما جاء في كلمة العامري:اعتبر أن ما أسماها فصائل "المقاومة" حمت العراق بشجاعة وأنقذته مما وصفه بـ"فتنة تشرين" في إشارة للاحتجاجات الشعبية التي اندلعت عام 2019.. وأشاد بدور الفصائل المسلحة في التصدي لتلك الاحتجاجات بحجة حفظ الدولة والنظام السياسي.

ردود الفعل والجدل القائم:اعتبر منتقدون ونشطاء وسياسيون (مثل أوس الخفاجي وبعض كتاب الرأي) أن تصريحات العامري تُعد بمثابة "اعتراف" أو تأكيد على تورط فصائل منظمة بدر والحشد الشعبي أو أطراف مرتبطة بها في قمع وقتل المتظاهرين الشباب، متناقضةً مع الروايات السابقة التي كانت تعزو حوادث القتل إلى "طرف ثالث" مجهول.

مطالبات قانونية: دعا شخصيات سياسية ومدنية (مثل حسين الغرابي أمين عام حزب البيت الوطني، وناشطين آخرين) السلطة القضائية والمدعي العام العراقي إلى التحرك الفوري وفتح تحقيق قضائي واستغلال هذه التصريحات كمستند لمساءلة المسؤولين عن دماء مئات الشهداء وآلاف الجرحى والمغيبين في تشرين. فيما رأى مراقبون أن الخطاب يمثل رسائل سياسية مبطنة وسط استمرار التوترات والاحتجاجات المطلبية في البلاد.

"بريطانيا تكسر التابوهات" وتوجه صفعة صاعقة جديدة لتل أبيب

رئيس الوزراء البريطاني الجديد شخص: معاناة الفلسطينيين وصمة عار لضمير العالم ولن نقف متفرجين أمام ما يحدث لهم ..

في تحول جذري يمثل إعادة صياغة للسياسة الخارجية البريطانية في الشرق الأوسط، اخترق رئيس الوزراء البريطاني آندي بيرنهام جدار الصمت الذي طالما كبل الموقف السياسي في لندن، محطماً كسر عقدة الخوف من اتهامات معاداة الساميّة التي أجهضت سابقاً أي تحرك عقابي ضد التجاوزات الإسرائيلية.

لم يكتفِ بيرنهام بفتح هذا الملف الإشكالي، بل ووجه ضربة كلامية شديدة اللهجة وصف فيها الاستمرار في غض الطرف عن معاناة الشعب الفلسطيني وتجاهل آلامه بأنه يمثل رسمياً وصمة عار على ضمير العالم أجمع، مؤكداً أن حكومته لن تكتفي بعد اليوم بمقاعد المتفرجين بينما تستمر الفظائع في قطاع غزة ويتم التدمير الممنهج لفرص حل الدولتين.

خسائر اقتصادية وضائقة تستهدف المستوطنات وعزل بنيتها التحتية

التصريحات السياسية النارية لم تقف عند حدود المنشورات والمؤتمرات بل تُرجمت فوراً إلى حزمة قرارات حازمة أعلنها وزير الخارجية إد ميليباند، وتضمنت حظراً كاملاً وشاملاً لجميع المنتجات والسلع الصادرة عن المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة والتي تعتبرها لندن غير قانونية بموجب القانون الدولي.

ولم تتوقف الضربة البريطانية عند حدود التبادل التجاري بل امتدت لتطال الشركات والأفراد الذين يقدمون خدمات البناء، التمويل، العقارات، أو البنية التحتية المخصصة لتوسيع هذه المستوطنات، بالإضافة إلى منع تام لأي نشاط ترويجي أو إعلاني داخل المملكة المتحدة يخص العقارات الواقعة في تلك المناطق وفرض عقوبات مباشرة على المستوطنين المتطرفين المتورطين في أعمال العنف ضد الفلسطينيين ، وهي قيود تجارية جادة ستبدأ بالدخول في التنفيذ العملي خلال فترة من ستة إلى تسعة أشهر،

أثارت هذه القرارات المفاجئة موجة عارمة من الغضب والتشنج في الأوساط السياسية في تل أبيب، حيث بادرت الحكومة الإسرائيلية باتخاذ إجراءات تصعيدية سريعة تضمنت إغلاق القنصلية البريطانية في القدس الشرقية كرد رادع على القيود الاقتصادية الجديدة، في حين أوضحت لندن أن هذا القرار الصارم لم يكن خطوة فردية وإنما جاء في إطار تحرك غربي دولي منسق ومحسوب يجمع بريطانيا وفرنسا وكندا، حيث يسعى هذا التحالف الثلاثي إلى محاصرة التوسع الاستيطاني برا وبحرا وتطبيق أحكام القانون الدولي..

ماذا بعد؟..

على جميع القوى والأحزاب السياسية، داخل السلطة وخارجها، التي تدعو إلى تحقيق العدالة المجتمعية وتغيير طبيعة نظام الحكم نحو دولة المواطنة، أن تمارس الضغط السياسي والجماهيري لتحقيق ما تطمح إليه. ذلك يتطلب الدفع باتجاه تحقيق أمرين مهمين:

- المطالبة بإجراء استفتاء شعبي يتعلق باصلاح أربعة أمور:
  - الدستور
  - قانون الأحزاب
  - قانون الانتخابات
  - المفوضية العليا للانتخابات
- من هنا يتوجب على أصحاب الفقه والرأي والفكر والإعلام والثقافة، السعي لتحقيق هذه الأهداف ومحاربة النفاق السياسي بكل الوسائل المتاحة لإنقاذ الشعب والوطن من الضياع وضمان مستقبل أفضل للأجيال القادمة!!

بين المطرقة الإيرانية والسندان الأمريكي... العراقُ في قلب العاصفة: من يملك قرار الدولة؟

لم يعد ممكناً النظر إلى ما يجري في العراق باعتباره أزمة سياسية أو أمنية داخلية منفصلة عن محيطها الإقليمي. فالعراق يجد نفسه اليوم في قلب واحدة من أكثر مراحل الصراع في الشرق الأوسط تعقيداً وخطورة، حيث تتداخل الحرب الأمريكية ـ الإيرانية مع التصعيد العسكري في اليمن، والتهديدات التي تطال السعودية وممرات الطاقة، فيما تواجه الحكومة العراقية اختباراً بالغ الحساسية يتعلق بقدرتها على حماية سيادة البلاد ومنع تحويل أراضيها إلى ساحة لتصفية الحسابات الإقليمية.

ولعل الأخطر في المشهد الراهن أن العراق قد يجد نفسه، مرة أخرى، أمام خطر أن يدفع ثمن حرب لا يملك قرارها. فكلما اتسعت دائرة المواجهة بين الولايات المتحدة وإيران، ازدادت أهمية العراق بالنسبة إلى طرفي الصراع، ليس باعتباره طرفاً رسمياً في الحرب، وإنما بسبب موقعه الجغرافي، وحدوده مع إيران، وعلاقاته مع دول الخليج، ووجود فصائل مسلحة تمتلك قدرات عسكرية ونفوذاً سياسياً واقتصادياً داخل البلاد.

وقد كشفت التطورات الأخيرة هذه الحقيقة بصورة واضحة. فالهجوم بطائرات مسيّرة الذي استهدف خط النفط السعودي الناقل للخام من المنطقة الشرقية إلى ساحل البحر الأحمر، وأعلنت بغداد أن الهجوم انطلق من الأراضي العراقية، لم يعد مجرد حادث أمني يمكن احتواؤه ببيان حكومي. إنه تطور يمس بصورة مباشرة سيادة العراق وعلاقاته مع جيرانه وأمن الخليج والأسواق العالمية للطاقة.

فحين تستخدم أراضي دولة لضرب منشآت دولة أخرى، فإن السؤال لا يعود فقط: من أطلق المسيّرات؟ وإنما يصبح :من المسؤول عن حماية الأراضي العراقية ومنع استخدامها في عمليات عسكرية ضد الآخرين؟

وهنا تبدأ المشكلة الحقيقية: العراق يريد أن يقول إنه دولة ذات سيادة، وإنه قادر على إقامة علاقات متوازنة مع الولايات المتحدة وإيران والسعودية وسائر دول المنطقة. لكن هذه السيادة تصبح موضع اختبار عندما تتمكن جماعات مسلحة من التحرك من داخل الأراضي العراقية خارج القرار الحكومي.

ولا ينبغي أن يقود ذلك إلى استنتاج مبسط بأن كل عملية تنفذها فصائل عراقية هي بالضرورة قرار إيراني مباشر. فالفصائل لها حساباتها ومصالحها ومواقعها السياسية الخاصة، كما أن العلاقة بينها وبين طهران ليست متطابقة في كل الحالات. لكن من الصعب، في المقابل، تجاهل النفوذ الإيراني الواسع في المشهد السياسي والأمني العراقي، أو تجاهل حقيقة أن طهران تنظر إلى عدد من القوى المسلحة العراقية باعتبارها جزءاً من منظومة نفوذ إقليمية يمكن أن توفر لها أوراق ضغط في مواجهة الولايات المتحدة وحلفائها.

وهذا ما يجعل العراق في وضع بالغ الحساسية. فإيران، التي تواجه ضغوطاً عسكرية وسياسية واقتصادية أمريكية متزايدة، تحتاج إلى مساحات إقليمية تستطيع من خلالها توزيع الضغط على خصومها. واليمن يمثل إحدى هذه المساحات من خلال الحوثيين، والعراق يمثل مساحة أخرى بسبب وجود فصائل مسلحة مرتبطة سياسياً وأمنياً بإيران بدرجات مختلفة.

ولا يعني ذلك أن العراق مجرد أداة بيد أي طرف. لكنه يعني أن استمرار وجود قوى مسلحة ذات ارتباطات إقليمية، مع امتلاكها القدرة على اتخاذ قرارات عسكرية مستقلة، يجعل العراق عرضة لأن يتحول إلى جزء من معادلة الصراع، حتى لو أعلنت حكومته رسمياً أنها تريد النأي بالبلاد عن الحرب.

اليمن والسعودية وممرات الطاقة

التصعيد في اليمن يضيف طبقة أخرى إلى الأزمة. فالحوثيون المدعومون من إيران صعّدوا هجماتهم على السعودية، فيما يتواصل القتال على ساحل البحر الأحمر، الأمر الذي يهدد واحداً من أهم الممرات البحرية في العالم، ويضيف ضغوطاً جديدة إلى أسواق الطاقة والتجارة الدولية.

وهكذا تتشكل أمامنا صورة إقليمية مترابطة: حرب أمريكية ـ إيرانية، وتصعيد في اليمن، وتهديدات للسعودية، ومخاطر في مضيق هرمز وباب المندب، وهجمات يمكن أن تنطلق من الأراضي العراقية. وفي مثل هذا المشهد، لا يستطيع العراق أن يتعامل مع كل ملف على حدة. فأي اضطراب في الخليج أو البحر الأحمر يؤثر في أسعار النفط وتكاليف النقل والتأمين، وأي تصعيد بين إيران والولايات المتحدة ينعكس على الأمن العراقي، وأي هجوم ينطلق من الأراضي العراقية يمكن أن يضع بغداد في مواجهة مع دول الجوار.

ومن هنا فإن سياسة النأي بالنفس لا تعني أن تعلن الحكومة العراقية أنها غير معنية بما يجري، وإنما تعني أن تمتلك الأدوات التي تمنع الآخرين من جرها إلى الحرب.

في قلب هذه المعادلة يقف رئيس الوزراء علي الزيدي أمام واحدة من أصعب المراحل السياسية منذ تشكيل حكومته. فالزيدي لا يواجه أزمة واحدة، وإنما مجموعة أزمات متشابكة: مكافحة الفساد، إصلاح مؤسسات الدولة، معالجة الوضع الاقتصادي، تحسين الخدمات، الحفاظ على علاقات متوازنة مع القوى الدولية والإقليمية، والأهم من ذلك كله التعامل مع ملف السلاح خارج القرار الحكومي.

وقد يبدو للوهلة الأولى أن هذه الملفات منفصلة، لكنها في الواقع مرتبطة ببعضها بصورة وثيقة فالدولة التي لا تستطيع فرض القانون على الجميع ستجد صعوبة في مكافحة الفساد بصورة جذرية. والدولة التي لا تحتكر قرار استخدام القوة لا تستطيع بصورة كاملة أن تفرض سياستها الخارجية. والدولة التي لا تملك قرار الحرب والسلام ستبقى سيادتها منقوصة مهما كانت قوة خطابها السياسي.

جداريات من ذاك المكان

أضواء ..
” المأساة العراقيةِ دونَ حلولٍ جَدية “

«لا تغيير في دور الفصائل»

إحسان الشمري، أستاذ السياسات الاستراتيجية والدولية في جامعة بغداد، لا يرى أن دور الفصائل سيتغير بعد 30 أيلول، وهو الموعد الذي كان يفترض أن يمثل نهاية وجود القوات الأميركية وخروج الفصائل من المشهد المسلح معاً، قبل أن تتدخل طهران.

ويقول في حوار تلفزيوني: وإن حتى جرى «تنظيم السلاح»، وفق العبارة التي يستخدمها التحالف الشيعي والتي تبدو أكثر تخفيفاً من «نزع السلاح»، فإن المشكلة الأساسية ستبقى قائمة، إذ قد يعود السلاح إلى الشارع عند أول احتكاك أميركي- إيراني.

ويؤكد الشمري إن «السلاح يمكن أن يعود في أي لحظة، أو أن يستخدم في محاولة لفرض إرادة سياسية».

ويضيف أن هذا الأمر ظهر «بين آونة وأخرى» في تحد للدولة ولقراراتها، سواء خلال حكومة محمد السوداني أو حتى خلال حكومة مصطفى الكاظمي السابقة.

«أهمية القضاء في تحقيق العدل وحفظ الأمن والحريات العامة وسيادة الدولة»

القضاء هو الآلية المؤسسية التي تُحوّل “القانون” من نصوص مُعلقة إلى قواعد تُطبق على نزاعاتٍ قائمة. ومن دون قضاء مستقل ومحايد، لا معنى حقيقيا لسيادة القانون أو لحقوق مضمونة؛ إذ تصبح السلطة بلا كابح، والعقود بلا تنفيذ، والأمن بلا شرعية.

ولحلّ النزاعات بكلفة أقل: يتطلب وجود منظومة قضائية كفوءة من شأنها خفض زمن وكلفة التقاضي والحد من العدالة الذاتية والعنف. كما لديها قابلية التنبؤ: بأحكام متسقة تخلق يقينا قانونيا يُحسن الاستثمار والائتمان وتقليل المخاطر. وبسط الرقابة القضائية تقلل إساءة استعمال السلطة وتُحسن الامتثال الإداري.

سيادة القانون ومبدأ الشرعية حاجة ماسة: لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص، والقاضي هو الضامن لتطبيق النص وفق الدستور والمعايير العليا وفق التدرج التشريعي ومبدأ (الحقوق والحريات). فعلى القاضي أن يوازن بين ضمان المحاكمة العادلة والدستور والقوانين واللوائح؛ فإذا تعارض الأدنى مع الأعلى، رجح الأعلى. مع ضمان فضاء رقابي: قاضٍ طبيعي مستقل، علنية الجلسات، حق الدفاع، قرينة البراءة، قابلية الأحكام للطعن، تسبيب الأحكام ونشرها.

الخلاصة: العراق في ظل الازمات والاوضاع التي يتعرض لها، بحاجة. إلى القضاء المستقلّ والكفؤ هو **"شرط"** للعدل والأمن معا، وليس بديلا لأحدهما. وهو الضمان المؤسسي للحريات وسيادة الدولة، لأن الدولة لا تكون سيدة إلا إذا خضعت هي نفسها لحكم القانون الذي يطبّقه قضاة مستقلون ومحايدون، بأحكام قابلة للتنفيذ ومفتوحة للمساءلة.

ملاحقة الفاسدين واسترداد الأموال... العراق يطلب من الإنتربول

طالب رئيس هيئة النزاهة محمد علي اللامي، يوم الاثنين14 أيلول، الإنتربول بتعزيز التعاون والتنسيق الدولي في مُلاحقة المطلوبين والمُتهمين بقضايا الفساد، وتسريع إجراءات تعقبهم وتبادل المعلومات ذات الصلة.

جاء ذلك، بحسب بيان للهيئة تم نشره على وسائل الإعلام، خلال لقاء اللامي برئيس المنظمة الدولية للشرطة الجنائية (الإنتربول)، لوكاس فيليب، على هامش مشاركته ضمن الوفد الحكومي الذي يزور العاصمة الفرنسية باريس.

وأكد اللامي أن "الطبيعة العابرة للحدود لجرائم الفساد، وما يرتبط بها من تهريبٍ للأموال وانتقال المطلوبين بين الدول، تجعل التعاون الدولي ركنا أساسيا في منظومة مكافحته، مُشددا على ضرورة عدم تمكين مرتكبي تلك الجرائم من استغلال الحدود أو التباين بين الأنظمة والتشريعات؛ للإفلات من الملاحقة القانونية والانتفاع بعائدات جرائمهم".

وأشار إلى أن "تصاعد حملات مكافحة الفساد في العراق، وتشديد إجراءات المُلاحقة والتحرّي والتحقيق، دفع بعض المُتورطين إلى محاولة مغادرة البلاد والاحتماء خارج حدودها، الأمر الذي يتطلب استجابة دولية سريعة وتنسيقا فاعلا مع الإنتربول والأجهزة النظيرة؛ لتعقب المطلوبين وتحديد أماكن وجودهم واتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة بحقهم".

» العراقُ ؟... في حَضْرة آراءِ المُواطنينَ«

نشر: عراقية - Wtv
13 سبتمبر 2026

السيد القاضي علي حسين شفات المحترم.

الذبحاوي تعرض الى اشد انواع التعذيب، كل من يعرفكم ويعرف مسيرتكم القضائية يعلم أنكم قاضٍ لا تخفى عليه الحقائق، وأن ميزان العدالة لديكم لا يتوقف فقط عند ما هو مدوّن في الأوراق التحقيقية، بل يمتد إلى تمحيص الوقائع والبحث عن الحقيقة الكاملة ودوافعها والجهات التي قد تستفيد من استمرار بعض القضايا.

إن قضية الدكتور الإعلامي علي الذبحاوي لم تعد قضية شخص واحد فحسب، وإنما أصبحت أمام الرأي العام قضية تثير الكثير من التساؤلات: ما الدوافع الحقيقية وراء تعدد القضايا وفتحها وتأخير حسمها؟ ومن المستفيد من استمرار هذا الملف وإبقاء رجل إعلامي وأكاديمي في دوامة من الإجراءات والأحكام والتوقيفات؟

لقد عانى الدكتور علي الذبحاوي، من مراحل قاسية خلال فترة احتجازه، ومن ضغوط نفسية وجسدية تركت آثاراً كبيرة عليه. وهو الرجل الذي عُرف من خلال برنامجه ومقالاته بانتقاد أداء الحكومات والسياسات التي كان يرى أنها تضر بالمواطن والدولة، ووقف لسنوات إلى جانب المواطن البسيط ورفع صوته في وجه الفساد.

واليوم، نضع ثقتنا بالقضاء العراقي، ونضع ثقتنا بشخصكم الكريم، بأن تكون الحقيقة هي الفيصل، وأن لا يُظلم إنسان بسبب مواقفه أو آرائه أو كلماته، وأن تُبحث جميع ملابسات القضية ودوافعها بعيداً عن أي تأثير أو ضغط أو حسابات أخرى.

السيد القاضي المحترم،

نحن على ثقة بأنكم ستنصفون المظلوم إن ثبتت مظلوميته، وستضعون الأمور في نصابها القانوني الصحيح، وأنكم لن تسمحوا بأن يتحول القضاء إلى ساحة لتصفية الحسابات أو معاقبة الإنسان على مواقفه الإعلامية.

كل أملنا أن يصل الدكتور علي الذبحاوي إلى حقه، وأن تُكشف الحقيقة كاملة، وأن يُعالج ما تعرض له من أذى وفق القانون، وأن تكون العدالة هي الكلمة الأخيرة.

ثقتنا بالقضاء، وثقتنا بعدالتكم، وأملنا أن تنتصر الحقيقة.

تعليقات القراء

ابو احمد العلي

لا اطلب التدخل بالقضاء ولا انحاز للمتهم ولا اتعدى على المشتكي وانما اطلب من القضاء ان يسمح للصحافة وقنوات التلفزيون بتصوير ونشر وقائع المحاكمة كي يرى شعب العراق كيف تطبق العدالة ويحكم الشعب بضميره ووطنيته من هو الجاني هل المتهم ام المشتكي وبذلك سوف تتعرى الاطراف الظالمة من جهات او اعلام ام سياسيين . قد يكون ادعاء المشتكي صحيح او يكون افتراء وكيد وتعدي على المتهم افسحو المجال للشعب يسمع كلا الطرفين ونكون بذلك بلد ديموقراطي حقا وليس زيف ونصوص في الدستور والقوانين فقط و لا وجود لها في ارض الواقع.ولا ننسى عدل ومسيرة الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في تطبيق العدالة عندما جاءه احد الاشخاص يشكو من شخص فقع عينه لكن الامام لم يحكم له وطلب رؤية وسماع المشتكى منه فلربما يكون الضرر الذي اصابه اكبر مما اصاب المشتكي.
العدل اساس الملك.

نبع الحنان

ايها القاضي الكريم اكرم إنسانا دافع عن الحق وافرج عنه وعوضه بما خسره والله أصبح سنة حفظنا قصة الدكتور علي الذبحاوي كما حفظنا اسمائنا للعلم نحن أكراد من إقليم كوردستان نناشد بالإفراج عنه كونه مواطن عراقي وقال الحق فظلم لو كان بين خواله الأكراد لكرم (الدكتور علي الذبحاوي علم من اعلام الثقافة العراقيه) اهتموا به افرجوا عنه أنه غالي وثمين انسان بمعنى الكلمه أصبح قضيته يتداوله كل العراقيين من زاخو إلى فاو ونرجع للقضاء العراقي ليبشرنا خيرا عن اخونا العربي ابن الرافدين ونحن من إقليم لنفرح بفرحته والافراج عنه إنشاءالله عاجلا وليس آجلا بحق محمد واله الطيبين الطاهرين.

ALkhalil Almosawi

عندما انتقد الدكتور الذبحاوي الفساد و الدمار الذي حل بالبلد لم يأتي من فراغ بل واقع يومي نعيشه جميعاً و بما أنه إعلامي إبن الوطن وقف من أجل أهله و وطنه بالتصدي لكل انواع الفساد و بكل ما يمتلكه من شجاعة إعلامية لذلك نطالب القضاء بأطلاق سراحه لتسود العدالة و يظهر حقه في العيش الكريم.

سلطانة بت شيوخ

ياايها السيد القاضي المحترم لقد تالمنا لما تعرض له. الاعلامي علي الذبحاوي ولقد زاد المنا حين نجد قضيته ماسكه بها أصابع من حديد ولا نعرف من يحرك هذه القضيه ولصالح من يراد بقائه في السجن او اعدامه كل العراقين عندهم املا بقضائك العادل.
ولك كل الشكر والتقدير.

ام محمد

نناشد رئيس مجلس القضاء الأعلى القاضي فائق زيدان انتم أساس العدل والانصاف وميزان الله في الأرض بانصاف المظلوم. ان الاعلامي والدكتور علي الذبحاوي معاناة كثيرة واليوم احساس ومعاناة انه مظلوم اليوم نناشدكم باسم الانسانيه احتوى موضوعه بكل شفافيه ودقه واعادة النظر انه ليس عندة غير النشر والاعلام في قناة البغداديه تقصي من الحقائق وانصافه ان كان مظلوم وانت سيادة القاضي فائق زيدان المحترم اساس العدل والانصاف لايظلم احد في قضاء العراقي العادل يحفظك الله لنصرة الاعلامي علي الذبحاوي ولكم الأمر بفتح موضوعه والتأكد من الاجراءات.

كريم سيدصالح اليعقوبي

أريد توضيح من هي الجهه المستفيده من بقاء الذبحاوي في هذه الدوامه وفتح ملفاة متعدده لغرض الابقاء عليه في المعتقل.

آراء حرة

في الشأن السياسي...

من يحكم حوكمة الفساد في العراق؟

الغزالي الجبوري

ت: من الفرنسية أكد الجبوري

ملخص تجريدي مبسط:

ساد شعورٌ مقلقٌ لدى الأوساط العامة في العراق: شعورٌ بالديمقراطية الوصائية، حيث تُعرقل القرارات السياسية المشروعة باستمرار، أو تُقيّد، أو يُعاد تفسيرها من قِبل هيئات قضائية، تبدو في كثير من الأحيان وكأنها تتصرف بانحياز أيديولوجي يصعب تجاهله.

يتساءل المزيد (ضمن استطلاع استبياني ـ لمراكز متخصصة). تؤشر؛ من المواطنين يوميًا. سؤالًا. لم يعد بالإمكان تجاهله. باعتباره مبالغة أو مجرد سخط سياسي: من يحكم العراق حقًا؟؛

ـهل هي السلطة التنفيذية المنتخبة عبر صناديق الاقتراع؟

ـ هل هو البرلمان الذي يُمثل السيادة الشعبية؟

ـ أم أنه، في الواقع، جزءٌ من السلطة القضائية قرر أن يضطلع بدور سياسي لم يمنحه إياه المواطنون؟ لأن ما نشهده منذ سنوات والايام الحالية والقريبة. لم يعد يُعتبر طبيعيًا في ديمقراطية ناضجة.

ساد شعورٌ مقلقٌ في العراق: شعورٌ بالديمقراطية الوصائية. ديمقراطيةٌ لا يكفي فيها التصويت دائمًا لضمان احترام الإرادة الشعبية. ديمقراطية تُعرقل فيها القرارات السياسية المشروعة باستمرار، أو تُقيّد، أو يُعاد تفسيرها من قِبل هيئات قضائية، تبدو في كثير من الأحيان وكأنها تتصرف بانحياز أيديولوجي يصعب تجاهله.

فصل السلطات أمرٌ جوهري. فبدون قضاة مستقلين، لا ديمقراطية. ولكن لا ديمقراطية أيضاً عندما يتصرف فرع من فروع الحكومة وكأنه فوق كل رقابة ديمقراطية، محصن ضد النقد الشعبي، ومحمي من النقاش العام. هذه هي المشكلة الحقيقية.

لا نتحدث هنا عن العدالة، بل عن تسييس القضاء، والأخطر من ذلك، تسييس قطاعات من السلطة القضائية. والجمهور يرى ذلك.

يرى كيف يتدخل بعض القضاة مراراً وتكراراً في قضايا سياسية بارزة. يرى كيف تُحسم بعض القضايا بسرعة فائقة بينما تُهمل أخرى لسنوات في أدراج القضاء. يرى كيف تتغير شدة العقوبة تبعاً للانتماء السياسي للشخص الخاضع للتحقيق.

وهذا التصور، سواء كان مريحاً أم لا، يُقوّض الثقة في المؤسسات. لأن العدالة لا يجب أن تكون نزيهة فحسب. يجب أن تبدو محايدة.

عندما يرى جزء كبير من الشعب ازدواجية في المعايير - معيار لليمين وآخر لليسار - تتجاوز المشكلة كونها مسألة حزبية، لتصبح مسألة ديمقراطية.

أعادت قضية الفساد الأخيرة هذه القضية إلى الواجهة مجدداً. فقد أُمرت الحكومة العراقية برئاسة علي الزيدي (1986-)() لتوصيفها قاضياً بأنه "فاسد"، ضمن حملة ما تسمى بـ(صولة الفجر)() جاء بدعم من رئيس مجلس القضاء الأعلى (فائق زيدان. (1967-)()) وبتنسيق مع (ضياء جعفر لفتة.(1992-)()) نائب رئيس محكمة استئناف الكرخ/ قاضي أول في محكمة تحقيق الكرخ المختصة بقضايا النزاهة. الذي يعمل "تحت إشراف مجلس القضاء الأعلى". وهو قاضٍ تعتبره مسؤولاً عن إجراءات قضائية مشكوك فيها للغاية (في قضايا الفساد المالي والإداري الكبرى. الجرائم الإقتصادية. وقضايا استرداد الأموال)(). وبغض النظر عما إذا كانت كلماتها مبالغاً فيها أم لا، فإن السؤال الأساسي هو: أين يكمن الحد الفاصل بين حماية الشرف ومعاقبة النقد السياسي؟ لأن العديد من المواطنين يلاحظون تناقضاً يصعب تقبله.

إلقاء القبض على مجموعة من المتهمين. بسرعة بسبب تصريح قضائي ضد الفاسدين، بينما يبدو أن الخطاب الأكثر عدوانية وإهانة، بل وحتى تجريداً من الإنسانية، الصادر عن قطاعات "الإطار التنسيقي" المتطرف بالفساد، يجد تسامحاً أكبر في المجال العام. ويجدر الحديث عنه. عن نظام الحكم "حكومات" بعد الاحتلال الامريكي للعراق منذ 2003.

ومن هنا ينبع الغضب. ليس لأن أحداً فوق القانون، فلا ينبغي لأحد أن يكون كذلك. لكن لأن القانون يجب أن يُطبق بحزمٍ متساوٍ على الجميع؛

ـ دون استثناءات.

ـ دون تحيز.

ـ دون انتماءات أيديولوجية

في الديمقراطية السليمة، لا يُعتبر القضاة آلهة. إنهم موظفون عموميون يتمتعون بسلطة هائلة، ولهذا السبب تحديدًا، يجب أن يتقبلوا قدرًا كبيرًا من التدقيق والنقد الاجتماعي. لا ينبغي الخلط تلقائيًا بين انتقاد الأحكام القضائية، حتى النقد اللاذع، وبين الاعتداء على سيادة القانون.

أحيانًا يكون العكس هو الصحيح. أحيانًا يكون انتقاد القرارات القضائية دفاعًا عن الديمقراطية ضد إساءة استخدام السلطة. تتفاقم المشكلة بسبب الجمود المؤسسي في المجلس العام للقضاء. إن تجديده، المعلق منذ سنوات، ليس مجرد خلل إداري، بل هو عرضٌ لخلل ديمقراطي أعمق. أي عندما تبقى الهيئات الحكومية الرئيسية خاضعة للمصالح الحزبية، يختل التوازن المؤسسي. وعندما يسمح هذا الخلل لجزء من الجهاز القضائي بتكوين حق نقض دائم على القرارات الديمقراطية، يعود السؤال بقوة أكبر: من يملك زمام الأمور هنا؟

إذ أن الديمقراطية لا تموت دائمًا بالدبابات في الشوارع، ولا تتطلب دائمًا الزي العسكري أو الانقلابات العسكرية أو إطلاق النار. بل يمكن أن تتآكل ببطء.

ـ بالسيارات الفارهة عبر الفساد.

ـ بالحصار والجوع.

ـ بالنقض الثقافي والتعليمي.

ـ بحدة الصراع الطبقي والكسب اللامشروع.

ـ بأحكام قضائية تتراكم لتؤدي في النهاية إلى تحويل السلطة الحقيقية بعيدًا عن صناديق الاقتراع.

هذا هو خطر العراق: توجه خفايا الصراع السياسي "الإطار التنسيقي" الذي قام بصناعة "علي الزيدي"؛ كأداة. والقيام بتنفيذ ما تدفعه لتصفيات مأرب سياسية؛ "صراع وحدة الفاسدة الحاكمة" أي بانقلاب صامت لـ"أخوة الفساد بالدم"، وتحوّل تدريجي للسلطة الفعلية نحو مجالات لم يخترها الشعب.

العراق بحاجة إلى قضاة مستقلين، نعم. لكنها بحاجة أيضًا إلى مؤسسات مُجددة، وضوابط وتوازنات حقيقية، وسلطة سياسية تتمتع بالشجاعة للدفاع عن السيادة الشعبية ضد أي استغلال من قِبل الشركات.

لأنّ في الديمقراطية، لا يمكن أن يكون القرار النهائي حكرًا على من لم ينتخبهم أحد، بل يجب أن يكون للشعب. وطالما بقي ملايين المواطنين يتساءلون عمّن يحكم حوكمة الفساد في العراق حقًا، فهذا يعني أن ديمقراطيتنا تعاني من جرح غائر، وتجاهله لم يعد خيارًا مطروحًا.

آراء حرة

تواطؤ حلاوة السكّر مع مرارة الاستبداد

د.سناء شامي *

إن اللجوء إلى التحليلات السياسية، الإقتصادية، الإجتماعية أو كل هذا معاً، لا يكفي اليوم لفهم مجريات الأحداث، والأنظمة السياسية وبالتحديد منظومة الهيمنة؟

للتعمق في مفهوم الهيمنة علينا أن نلجئ إلى السُكّر... نعم السّكّر، الذي لم يكن سلعة حلوة الطعم فقط، بل كان له إمتداد تاريخي وسياسي، ولعب دور المحرك للتاريخ البشري. علينا ألا نستغرب الأمر ونحن نعيش عصر سلعنة الحياة، ليس فقط الإقتصادية، بل الثقافية منها والسياسية، فكل مكونات الحياة صارت سلع تُؤثر وتتأثر بالسلع الأكثر أهمية: لقد غيّر السكر العالم، فقد كان وراء تحولات إقتصادية كبرى، وبنى نظم إجتماعية جديدة، وصراعات سياسية، وثورات علمية، لكنه في الوقت نفسه إرتبط إرتباطا وثيقاً بالاستغلال وبالعبودية، وكلّف البشرية أثمان أخلاقية باهظة. ولو بحثنا في أصول السكر و إنتشاره من خلال تتبعنا لجذور زراعة قصب السكر في غينيا الجديدة، قبل نحو عشرة آلاف عام، و إنتقاله إلى الهند حيث ظهرت أولى تقنيات تكريره، ثم عبوره إلى العالم الإسلامي في العصور الوسطى، وصولًا إلى أوروبا التي حولته إلى سلعة فاخرة تُعرف بـ "الذهب الأبيض".

لقد كان هناك إرتباطا وثيقاً بين إنتشار السكر وتوسع شبكات التجارة العالمية، إذ أصبح هذا الذهب الأبيض عنصراً رئيسياً في حركة البضائع بين الشرق والغرب، و طاغية لا يرحم، فمن خلال عرض تاريخي موثق لإرتباط الطلب الأوروبي المتزايد على السكر، يتضح كيف نشطت تجارة الرقيق عبر الأطلسي، و بتحليل لظروف عمل ملايين الأفارقة، تبرز جليّاً صور المستعبدين في مزارع الكاريبي والأمريكيتين، حيث كان قصب السكر يزرع ويُعالج في ظروف قاسية للغاية، كما أن حلاوة لسكر تحالفت مع الثورة الصناعية، إذ شكّلت حافزاً غـــير مباشر لهذه الثورة من خلال زيادة الطلب أيضاً على وسائل النقل، الآلات، والمصانع، كذلك تطوير المحركات البخارية لتحسين عمليات طحن القصب وتكريره، مما سرّع في التحولات الصناعية... كما إن تأثيرات السكر إخترقت السياسة، إذ أن تجارة السكر أشعلت الصراعات السياسية، مثل تمويل حركات الإستقلال في أمريكا الشمالية، وتأجيج ثورة العبيد في هايتي التي غيّرت موازين القوى الإستعمارية.

أيضاً كانت لعائدات السكر فضل كبير في تكوين الثروات السياسية وبناء نفوذ الدول الأوروبية، و ليس هذا و حسب، بل إن التطورات العلمية الناتجة عن الطلب على السكر، أدت إلى تحسين أساليب الزراعة، و إختراع تقنيات تكرير جديدة، وإنتاج السكر من البنجر بدلاً من القصب خلال الحصار النابليوني، و برز دور العلماء والمهندسين في جعل إنتاج السكر أكثر كفاءة وربحية، و لكن هذا الإنتاج المتزايد كان له تأثير أخلاقي سلبي على المجتمع و أثمان إنسانية عالية: من استغلال للعمّال، تدمير المجتمعات الأفريقية، والأضرار الصحية الناتجة عن الإفراط في إستهلاكه. كما أن الحملات المناهضة للعبودية كانت قد إستخدمت مقاطعة السكر المستورد من مزارع العبودية كسلاح سياسي وأخلاقي. و إلى يومنا هذا نجد بأن إستمرار تأثير السكر على البُعد الإقتصادي المعاصر ما زال قائم من خلال صناعة الأغذية الضخمة، أساليب التسويق، والأزمات الصحية العالمية مثل السمنة وأمراض القلب، و مع ذلك، ما زال السكر سلعة إستراتيجية تتأثر بها السياسات الزراعية والتجارية للدول إلى يومنا هذا.

والسؤال هنا، كيف يمكن لمادة واحدة أن تعيد تشكيل تاريخ البشرية على مستويات الإقتصاد، العلم، والثقافة؟

ولماذا رافق ويُرافق التقدم الصناعي والتجاري إستغلال وظلم الإنسان لأخيه الإنسان؟

و ما هي العلاقة بين الرغبة في الاستهلاك وثمنه الإنساني؟

جميع هذه الأسئلة علينا أن نغوص في العمق للرد عليها ولنتحرر من أثر السلع على قيمنا وإنسانيتنا، ولا سيما إننا في زمن سلّعوا فيه الإنسان ذاته... فسياسياً، يكشف إرتباط السكر بالبنية الإقتصادية للإستعمار والعبودية ، و دوره في تمويل النظم الإستبدادية والرأسمالية الناشئة، مع ملاحظة وجود مفارقات كبرى بذات الوقت، حيث أن هذ السكر كان أداة قمع و تمويل للإستغلال، لكنه أيضاً ساعد في تمويل وتمكين حركات تحررية كبرى مثل ثورة هايتي. إذاً للسلع تاريخ سياسي يجب البحث فيه لفهم جذور قضايا العدالة الإجتماعية المعاصرة وعلاقة الإستهلاك بالأخلاق، وهذا ما تطرق له الكاتب الأمريكي مارك أورنسون في كتابه (كيف غيّر السكر العالم؟).

السلع ليست مجرد مواد للإستهلاك، بل يجب النظر إليها بشكل شامل، ومراقبة كيفية تفاعل الإقتصاد، السياسة، والعلم مع سلعة واحدة لتشكيل مسار الحضارة الإنسانية. من العبودية إلى الثورة الصناعية، ومن الإستعمار إلى الحركات التحررية، ومن الإكتشافات العلمية إلى الأزمات الصحية المعاصرة، فالسلع هي مرآة لتأمل تاريخنا الجماعي وفهم الروابط الخفية بين الحلاوة والمرارة في التجربة الإنسانية.

و إذا طبّقنا ذات النظرة اليوم على البترول، الغاز، الطاقة و كل المعادن النادرة التي تحتاجها الصناعة التكنولوجية، نرى بوضوح تأثيرها حتى على الجيوسياسة، و لنأخذ البترول (الذهب الأسود) على سبيل المثال، و مدى تأثيراته السياسية، الإقتصادية، الإجتماعية، الأمنية و الغذائية على الشرق الأوسط و العالم بشكل عام، و أيضاً على قوتنا اليومي، فالعالم يأكل بترولاً دون أن يدري، إذ أن الأرقام تشير إلى أن 15% من الوقود الأحفوري (الفحم، النفط و الغاز الأحفوري) يُستخدم في الزراعة و 42% يُستهلك في تصنيع الأغذية و التعبئة و التغليف، و 38% في المطاعم العامة و المطابخ الخاصة، و 20% فقط في الإنتاج الزراعي. إذا أخذنا في الاعتبار المنتجات البتروكيماوية المشتقة من معالجة الوقود الأحفوري فأن 40% منها يُستخدم في الزراعة، مقسّمة بين 44% في إنتاج الأسمدة و6% في صناعة البلاستيك الذي يؤثر بشكل كبير في الزراعة وصيد الأسماك، تربية الأحياء المائية، فالبلاستيك اليوم يمثل 3.5% من إجمالي الاستخدام العالمي. و وفقاً للوكالة

تتمة ص التالية

تواطؤ حلاوة السكّر مع مرارة الاستبداد

الدولية للطاقة فإن إنتاج النفط التقليدي بلغ ذروته في عام 2006، و العالم اليوم يعاني من ندرة النفط...

إذاً ماذا وكيف سنأكل؟ ما دامت السلع هي من يتحكم بحياتنا، لماذا لا نصنع سلعاً بحجم إنسانيتنا نستعيد معها وجودنا وقيمنا؟ أليس من الأجدر للدول العربية أن تبدأ برسم إستراتيجيات سياسية جديدة لها، تقلل من تبعيتها للغرب، وذلك من خلال المراهنة على نموذج زراعي وغذائي معاكس للنموذج السائد، يضع إحتياجات الأغلبية والنظام البيئي في المركز. ما أطرحه لا يتعلق بالحنين إلى الماضي، بل بالحاجة الماسة إلى رعاية الأرض، وضمان الغذاء للجميع دون سلب الحقوق والكرامة، ولتجنيب المجتمع خطر الذل والتهديد، كما حدث أثناء الحصار الإقتصادي الأمريكي على العراق: البترول مقابل الغذاء. ألم يسرق الأمريكان بنك الحبوب في العراق وسوريا؟ البحث اليوم على نموذج فلاحي مختلف يحمي المجتمعات من الإستغلال لتحقيق مكاسب تجارية أشبه بالأسلحة الفتّاكة: فكلما كانت الزراعة صناعية ومكثفة وعالمية، زادت إعتمادها على النفط، وبعكس ذلك، كلّما كان النظام الزراعي المحلي والموسمي الذي يعتمد على الزراعة البيئية، فهو يقلل من الإعتماد على الوقود الأحفوري وعلى التبعية للشركات العالمية التي تستخرجه.

و كما هو معلوم للجميع، فأن المجتمعات الرأسمالية هي أكبر منظمة ومطورة للإنتاج، ومع فهم البنية التاريخية لهذه المنظمة المهيمنة على العالم، نستطيع تدريجياً العودة إلى بنية وعلاقات الإنتاج لجميع المجتمعات السابقة للرأسمالية، والتي بنت الرأسمالية على أنقاضها، من خلال النظام الصناعي للزراعة. علينا أن نعود لمفاتيح إقتصاد القديم، كي نُضعف مركزية الإنتاج الرأسمالي العالمي، الذي يسعى إلى إستعباد البشرية، كي نمنع غرق الشباب العربي في البحار، من أجل الوصول إلى الدول الرأسمالية التي ترى في نجاته، وصول سلعة رخيصة الأجر إلى أسواقها: الإمبريالية التي هي أعلى مراحل الرأسمالية، و لكي تضمن إستمراريتها و هيمنتها، لا بد أن تستمر في توفير العمالة الرخيصة من أجل تعزيز الرأسمالية الصناعية، و لا جديد تحت الشمس، فقد كانت تجارة الرقيق محرك التقدم الإقتصادي و الصناعي لبريطانيا، و إن صعود و سقوط تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي بين القرنين الثامن عشر و التاسع عشر، و استخدام الأفارقة كعبيد في الإمبراطورية البريطانية و العنصرية، جميع ذلك إرتبط بأسباب إقتصادية بحتة، و العبودية لم تُلغى إلا عندما سقطت جدواها من الناحية المالية، بحكم تطور الآلة، و هذا يدحض الرواية التي رأت في تحرير العبيد علامة على التقدم الأخلاقي لبريطانيا، فالإستعمار مرتبط بالرأسمالية، أو العكس، و الإثنان معاً مرتبطان بالإنتاج و موارده...إذاً لنحرر الأرض من النظام الصناعي، كي نصنع إنتاجاً بطعم الحرية و الكرامة.

حراك

"تشرين" تكشف حجم تأثيرها في النظام السياسي...
وتصريحات قادة الأحزاب تفضح سلوكهم

اعتبر مسؤول تجمع بغداد الوطني وعضو اللجنة المركزية للاحتجاج، محمد الفريداوي، اليوم الثلاثاء، أن تصريحات قادة الأحزاب السياسية بشأن تظاهرات تشرين تمثل دليلاً على عمق الاحتجاجات وتأثيرها في المنظومة السياسية، مؤكداً أن تشرين "هزت أركان النظام وكانت أن تطيح به".

وقال الفريداوي، في تصريح له، إن الجميع يتذكر كيف جرى إفراغ المنطقة الخضراء وهروب قادة الأحزاب إلى الخارج، مبيناً أن هؤلاء كانوا يدركون، بحسب رأيه، حجم الفساد والفشل الذي تسببوا به.

وأضاف أن تشرين تمثل "فتنة" في نظر الفاسدين ومن تسببوا، بحسب وصفه، بهدر أموال العراق وقتل الشباب وسرقة قوت الشعب.

وأوضح أن تشرين كانت احتجاجات تعبر عن عمق الأزمة والهوة بين النظام السياسي والشعب، مشيراً إلى أنها جاءت بعد سنوات من الطائفية والاستتباع السياسي وضياع القرار السيادي. وتابع الفريداوي أن تشرين خرجت "كصرخة مدوية تحاول إعادة الوطن الذي ضاع في أروقة المصالح السياسية"، مؤكداً أنها كانت احتجاجات سلمية هدفت إلى استعادة الوطن.

وبشأن دور الفصائل المسلحة في قمع الاحتجاجات، قال الفريداوي إن الحديث عن هذا الدور ليس جديداً، وإن جميع المحتجين والقوى السياسية يعلمون به، معتبراً أن ما صدر مؤخراً يمثل اعترافاً علنياً وتفاخرًا بعد سنوات من الإنكار وتحميل المسؤولية إلى "الطرف الثالث".

طه حسين ـ أحد ضحايا تشرين 2019

وأكد أنه "لا يوجد طرف ثالث"، موضحاً أن المقصود هم ميليشيات وفصائل تعمل، بحسب وصفه، كأجنحة عسكرية لأحزاب سياسية أرادت حماية نفسها. وأشار: إلى أن "هذا هو ديدن السلاح المنفلت دائماً"، معتبراً أنه يستخدم لحماية النظام السياسي وتعزيز شرعيته المسلوبة، في وقت سحب فيه الشعب الشرعية منه.

آراء حرة

سيكولوجية الاستعلاء السياسي..
تقديس الذات وشيطنة الاختلاف فى السياسة

أسعد عبدالله عبد علي

حين يتحول المشهد السياسي إلى مسرح مظلم، تبرز تلك الكائنات التي أصابها مرض السلطة، حيث يتضخم الوهم في رأس المسؤول حتى يرى في ذاته محوراً للكون ومركزاً للوجود. إن أزمة "تضخم الأنا" هنا ليست مجرد انحراف نفسي عابر، بل هي حالة استبداد وجودي؛ فالقائد المصاب بهذا الداء السيكولوجي لا يدرك السياسية كعقد اجتماعي مؤقت أو كخدمة عامة تُؤدى بتواضع، بل يراها عرشاً مقدساً ومرآة يعبد من خلالها ظله المستبد.

في هذا الفضاء المشوه، ينغلق السياسي على ذاته المورمة، رافضاً لأي مرآة حقيقية أن تعكس عيوبه، وناظراً إلى كل نقد باعتباره كفراً مبكراً أو خيانة عظمى تستوجب الإقصاء. وحين تنفصل "الأنا" المتضخمة عن واقع الناس وأوجاعهم، يتحول الحقل السياسي برمته من صراع برامجي للأفكار وخطط البناء, إلى محرقة كبرى للولاء الشخصي، حيث لا يُطلَب من المواطن أن يكون شريكاً في الوطن، بل رعيّة خاضعة تجيد السجود على عتبات الأنا المتضخمة، وتصفق في وجه خرابها الظاهر.

إنها المأساة الكبرى حين يظن من جلس على كرسي الحكم أنه قد ملك الزمن، فإذا به، في ميزان التاريخ، مجرد عابر ضئيل سقط في فخ وهمه الأبدي.

وهم العصمة والتمييز المطلق:

حين يتوغل الاستبداد في نفس المسؤول، يتسلل إلى وعيه وهم العصمة والتمييز المطلق، ليقنع ذاته بأنه لم يُخلق من طين البشر العاديين، بل هبط إلى سدة الحكم بنسخة أزلية من الحكمة المطلقة والقدرات الاستثنائية التي تقصر عنها عقول العالمين.

في هذا المدار المظلم، لا يعود يرى فـــي أصله أو مسيرته مجرد صدفة تاريخية أو كفاح بشري، بل يحيلها إلى تفوق جوهرى ووراثي يمنحه حق الوصاية الأبدية على مقدرات الأمة.

إن الكرسي لديه لا يُفهم كتكليف مؤقت تفرضه قوانين اللعبة الديمقراطية والخدمة العامة، بل يتحول في مخيال طغيانه إلـــى "ضرورة وجودية" لا يستقيم الكون ولا تستمر الحياة بدونها، وكأن زواله عن السلطة هو نهاية العالم ذاته.

هكذا تنعزل الذات المتخمة بالأوهام عن منطق التاريخ وبشريته، متخندقة خلف أسوار من التقديس المصطنع، لتصبح مأساة المجتمع في محاولته الدائمة لإيقاظ هذا الحاكم من غفوته العميقة على أسطورة عصمته المزعومة.

رفض النقد باعتباره "خيانة" أو "جهلاً":

حين يتجذر وهم العصمة في عقل القائد المستبد، يصبح النقد في نظره خطيئة لا تُغتفر وجريمة تُقاس بمقاييس الخيانة العظمى؛ فهو عاجز تماماً عن إدراك الفارق البسيط بين ذاته البشرية المعرضة للزلل, وبين الكيان العام الذي يديره.

في عقيدته المظلمة، لا وجود لنقاش حول سياسات فاشلة أو أداء إداري متصدع، بل يرى في كل صوت محاسبة هجوماً شخصياً مدفوعاً بالحسد أو مؤامرة كونية تحاك ضده.

وحين تلتحم "الأنا" المتضخمة بكرسي السلطة التحاماً تاماً، تتحول أي إشارة لخطأ عابر إلى طعن مباشر في قداسته ونزاهته المزعومة. هكذا يُغلق باب الحوار نهائياً، ويُحاصَر العقل العام، ليصبح الصمت طاعة والاعتراض خيانة، وكأن بالسياسي يقول للناس إن الوطن هو شخصه، وإن المساس بقراره هو هدم لأصل الوجود.

امتلاك الحق المطلق:

حين تكتمل دائرة الاستبداد في عقل هذا السياسي، يستقر في وجدانه وهم امتلاك "الحق المطلق"، ليغلق بذلك باب النسبية الإنسانية ويُلغي فكرة الأغلبية والتعددية من أساسها. بالنسبة له، ما يصدر عن لسانه أو يمر عبر هواجسه ليس مجرد اجتهاد بشري يحتمل الخطأ والصواب، بل هو الحقيقة الناجزة المنزلة الـتي لا تقبل الجدل أو التأويل، وما عداها من آراء أو رؤى لا يعدو أن يكون باطلاً مضللاً أو جهلاً مطبقاً يستوجب التقويم والتوبيخ. من هذا المنطلق، يفقد الحوار معناه الفلسفي والإنساني؛ فهو ليس أداة تشاركية للوصول إلى حلول وسط أو بناء توافق وطني، بل يتحول إلى منبر أحادي وعالٍ لإلقاء المحاضرات وتلقين الآخرين دروساً مجانية في الصواب والطاعة.

هكذا يسقط فضاء السياسة في فخ الجمود المطلق، حيث تُلغى المسافات بين فكر الحاكم وقانون الكون، ليصبح كل اختلاف في الرأي جريمة تُرتكب في حق الحقيقة المطلقة التي يتربع هو على عرشها وحده.

شيطنة الخصوم وتجريم المعارضة:

حين يستشعر هذا السياسي المتضخم هشاشة عرشه المزعوم، يلجأ إلى السلاح الأقدم في حروب الطغاة: شيطنة الخصوم وتجريم المعارضة. لكي يحافظ على صورته الأحادية كرمزٍ مطلق للطهر والنقاء، فإنه يقيم عالمه على ثنائيةٍ حادة ومظلمة تقوم على قاعدة «أنا الشريف النزيه، والآخرون هم الفاسدون والمتآمرون».

إنه لا يطيق مجرد الاختلاف في الرأي أو تباين البرامج، لأن الاختلاف بذاته يهدد أسطورته، لذا يسعى باستماتة إلى نزع الشرعية الأخلاقية عن كل من يقف في وجهه. وحين يتحول الخلاف السياسي إلى حرب إبادة معنوية، يصبح المجال العام أشبه بمحاكم تفتيش مفتوحة تُحاكم فيها الذمم وتُغتال فيها النيات بلا دليل.

هكذا يُفرغ الفضاء الوطني من معناه التراجيدي الجميل، ليتحول إلى مسرح هزلي ينصب فيه الحاكم مقاصل الأخلاق المزيفة، طامحاً بأن تبقى صورته وحدها الناصعة فوق ركام الأبرياء.

الجذور والانعكاسات

حين يُصاب الحقل السياسي بهشاشة البنيان وغياب ميزان المحاسبة الحقيقية، تتحول حاشية الحكم إلى تربة خصبة تنبت فيها أفاعي التملق والانتهازية. في هذا المناخ

المشبع برائحة النفاق، لا يجد المسؤول المأزوم بأناه سوى جوقة من المصفقين والتابعين الذين يحيطونه بأسوار من الإطراء الزائف، معززين لديه كل وهمٍ بالألوهة المصغرة والعصمة المطلقة.

وحين تنعكس على مرآة عينيه طوال اليوم وجوه تنحني طاعةً وصفقات تُعقد مدحاً، ينفصل تماماً عن قسوة الواقع وأوجاع الناس الحقيقية في الشارع.

هكذا يغدو في عزلته الذهنية كمن يسكن فوق سحاب وهمي، يرى صدى صوته هو الحقيقة الوحيدة، ويظن أن ضجيج الطبالة حول عرشه هو نبض الأمة، ليعيش غريباً عن وطنه، مأخوذاً بسحر مرآة كاذبة توشك أن تنكسر على صخرة الحقيقة الآتية.

ختاما:

حين تستيقظ الأرض على حقيقة الزوال وفي النهاية، وحين تتداعى عروش الأوهام وتهوي أسوار العصمة المزعومة على ركام التاريخ، يكتشف هذا الحاكم المستبد أن الزمن لا يُشترى بالألقاب، وأن الشعوب وحدها هي الباقية.

إن سيكولوجية التعالي السياسي ليست سوى فقاعة عابرة في سماء الأوطان، مهما طال أمد ليلها.

حوارات

» الذكاء الاجتماعي والذكاء الطبيعي«
حوار معرفي عراقي بين جيلين

أ.د. محمد الربيعي

مشهد تخيلي أدبي في مقهى الباب الشرقي، بغداد في زمن افتراضي يتقاطع فيه الزمان والمكان، وتلتقي فيه أرواح المفكرين معي شخصيا على كوب من الشاي "الزنكين" ورائحة السجائر التي تعلو في الهواء. هنا، حيث تتلاشى حدود العقود، يجتمع اثنان من عمالقة الفكر العراقي، كلٌ يحمل في جعبته تجربة معرفية مختلفة، ليجلسوا معي في جلسة لم يكتب لها التاريخ أن تحدث، لكنها تنبض بالحياة في مخيلة من يحاول أن يستمع إلى ما كان يمكن أن يقولوه لو التقوا في زمن واحد.

الحضور: الأستاذ الدكتور نوري جعفر (1914–1991)، أبو علم النفس التربوي في العراق، الرجل الذي حمل همّ إصلاح التعليم والعقل العراقي. والأستاذ الدكتور علي الوردي (1913–1995)، سوسيولوجي العراق الأشهر، ومحلل النفس الجمعي الذي مزّق أكوان المجتمع العراقي بجراحه. وانا الأستاذ الدكتور محمد الربيعي اكاديمي وباحث علمي وتربوي عراقي معاصر احاول جسْر الفجوة بين التراث المعرفي العراقي ومستقبل التكنولوجيا.

ليس هنا تدوينًا لمحضر حوار وقع يومًا، بل محاولة لإعادة بناء حلقة نقاشية افتراضية تستند إلى ما كتبوه وأفكارهم التي عُرفت عنهم، بوصفهم قامات فكرية تركوا بصماتهم في مسيرة المعرفة العراقية في حوار يجمعنا. فما يُنسب هنا لكل منهم هو انعكاس لفلسفتهم ومناهجهم، وإن حمل بعض العبارات لونًا من التخييل الأدبي الضروري لإحياء الجلسة.

المشهد الافتتاحي:

يدخل الثلاثة إلى المقهى، يصافح كل منهم الآخر بحرارة. يجلس علي الوردي عن اليمين واضعًا سيجارته على حافة المنجد، ويجلس نوري جعفر بجانبه ينظر بعينين فاحصتين. أما أنا (محمد الربيعي)، فأجلس مقابلهما على اليسار، واضعًا حاسوبي المحمول جانبًا، وكأني أريد أن أركز بالكامل في هذه الجلسة التي طالما حلمتُ بها.

الجولة الأولى: في تعريف الذكاء بين اختبارات العقل وفطنة القلب

علي الوردي: (يبتسم ابتسامته المعروفة) لنبدأ من سؤال بسيط، يا رفاقي. لطالما تساءلت: كيف يقاس ذكاء الرجل بما يحفظه من كتب، لا بما يفهمه من وجوه الناس من حوله؟ أنا في سنوات بحثي الطويلة، رأيتُ أميًا في أحد أهوار العراق يفكّ خلافات عشائرية بعبقرية، وأرى دكتورًا يحمل شهادات من السوربون لا يستطيع أن يسأل عن حال جاره دون أن يتلعثم.

نوري جعفر: (يهز رأسه موافقًا) هذه بالضبط كانت معركتي مع علم النفس التقليدي، يا دكتورعلي. درستُ في الغرب وعرفت أن اختبارات الذكاء (IQ) تقيس جانبًا واحدًا فقط من القدرات العقلية. لكن الواقع العراقي فرض علينا رؤية مختلفة. فالذكاء، كما أرى، ليس مخزونًا من المعلومات يُحشى في الرأس، بل هو قدرة ديناميكية على حل المشكلات الحياتية، والتكيف مع البيئة المتغيرة، والأهم من ذلك، فهم الآخرين. هذا ما يُسمى اليوم بـ"الذكاء الاجتماعي".

أنا (محمد الربيعي): (أنحني للأمام بانتباه) أستاذي دكتور نوري، كلامك يُذكّرني بما نراه اليوم في مختبرات الذكاء الاصطناعي. صحيح أن الآلات تستطيع تجاوز البشر في اختبارات IQ المعيارية، مثل اختبارات الرياضيات واللغة، لكنها تفشل فشلًا ذريعًا في أبسط المواقف الاجتماعية. يمكن لخوارزمية أن تحلل مليون مقال، لكنها لا تفهم سخرية عابرة، ولا تلتقط إشارة عين، ولا تشعر بنبرة صوت تملؤها المفارقة. وهذا يعيدنا إلى تساؤل وجودي: كيف لنا أن نبني ذكاءً اصطناعيًا يحاكي العقل البشري، ونحن لم نفكك بعدُ ذلك "الذكاء الفطري" الذي يجعلك يا دكتورعلي تفهم من تحاور بمجرد نظرة؟

الجولة الثانية: الذكاء الاجتماعي في البيئة العراقية شهادات ميدانية ونفسية

علي الوردي: (يسحب نفسًا من سيجارته) لقد سميتَها "البيئة العراقية"، وهـذا يجعلني أتحدث عن "ازدواجية الشخصية" التي درستُها طويلًا. المجتمع العراقي مركّب: فيه البداوة والحضارة، فيه العشيرة والدولة، فيه المذهب والوطن. هذه التركيبة الفريدة تخلق نوعًا فائقًا من الذكاء الاجتماعي، يا دكتور محمد. الرجل العراقي، في المتوسط، يُجبر على أن يكون "قارئًا للنفوس" ليحافظ على وجوده بين هذه التناقضات. ولكنه للأسف قد يستخدم هذا الذكاء أحيانًا في التمويه والنفاق، لا في البناء.

نوري جعفر: (يضع يديه على الطاولة) وهذا ما تؤكده الدراسات التربوية التي اجريت في جامعاتنا. اذكرك يا دكتور محمد بدراسة طلبة الإعلام في جامعة بغداد التي أظهرت أن مستوى الذكاء الاجتماعي لديهم أعلى من المتوسط. لكن الملفت، والذي يثبت نظريتي، أن الذكاء الاجتماعي لا يرتبط بالنوع الاجتماعي أو الصف الدراسي. إنه نتاج بيئي بالدرجة الأولى، والبيئة العراقية، بتنوعها وتعقيدها، هي مفرخة لهذا النوع من الذكاء. لكن هل هذا الذكاء كافٍ؟ بالطبع لا، فهو يحتاج إلى توجيه تربوي، وهذا ما حاولتُ زرعه في مناهجنا.

أنا (محمد الربيعي): (أفتح دفتر ملاحظاتي باهتمام) أستاذي دكتور نوري، لقد كنتَ تطرح قبل أربعين عامًا أسئلة جوهرية عن طبيعة الذكاء والوعي والعلاقة بين الإنسان والآلة، وهي أسئلة تلامس روح ما نناقشه اليوم تحت مسميات "الذكاء العاطفي" و"الذكاء الاجتماعي". في مقالك الشهير عن الذكاء الاصطناعي عام 1985، لم تكن تتحدث عن خوارزميات بقدر ما كنت تتحدث عن جوهر الإنسانية .كأنك كنت ترى أن التحدي الحقيقي ليس في جعل الآلة أكثر ذكاءً، بل في فهمنا نحن البشر لتعقيداتنا النفسية والاجتماعية أولاً.

نوري جعفر : (يبتسم ابتسامة الرجل الذي يشعر أن أحدًا قد فهم جوهر ما كان يقوله) أحسنت يا دكتور. لقد كنتُ في ذلك الوقت أقلق من أن ينشغل الناس بـ "كيف" تعمل الآلة، وينسون السؤال الأهم: "لماذا" نصنعها

---

* بروفسور متمرس ومستشار تربوي، جامعة دبلن

تتمة ص التالية

ولأي إنسان نصنعها؟ صحيح أنني لم أستخدم مصطلحي "الذكاء العاطفي" أو "الذكاء الاجتماعي" في كتاباتي، لكن روحي كانت تبحث في تلك الاتجاهات. الذكاء، بالنسبة لي، كان دائمًا قضية إنسانية قبل أن تكون قضية حسابية.

علي الوردي : (يطفئ سيجارته في النفاضة) وهنا تكمن المفارقة التي طالما ناقشتها. نحن في الشرق نطرح الأسئلة الجوهرية عن الإنسان، لكننا نترك للغرب مهمة صياغتها في نظريات ومقاييس! الدكتور نوري كان يطرح الأسئلة، وجاء "دانيال جولمان" وغيره ليصنعوا منها نظريات للذكاء العاطفي. ليس عيبا أن نطرح الأسئلة، لكن العيب أن نتوقف عندها ولا نبني عليها منهجيات عملية.

أنا (محمد الربيعي) : (أفتح دفتر ملاحظاتي) لكن المشكلة التي أواجهها في بحثي حول الذكاء الاصطناعي في العراق هي أننا نستورد التقنيات دون أن نستورد فلسفة استخدامها. نحن نتعامل مع الذكاء الاصطناعي كآلة باردة لحل المعادلات، بينما المجتمع العراقي يحتاج في المقام الأول إلى منصة ذكاء اجتماعي تحترم تعقيداته الثقافية .هل يمكن لخوارزمية أن تفهم مفهوم "الوجاهة" العشائرية؟ أو أن تفرق بين "المجاملة" و"النفاق" في السياق العراقي؟ أعتقد أن هذا يتطلب ما يسمى بـ "الذكاء الثقافي"، وهو تخصص نفتقر إليه.

الجولة الثالثة: الأدباء والتراث نموذج الجحا والمتنبي في التحليل الذكائي

علي الوردي: (يضحك بعمق) حديثك عن "الوجاهة" يذكرني بالجحا. هذا الرجل البسيط في الظاهر كان أذكى من فلاسفة عصره في فهم الناس. قصص الجحا مليئة بـ الذكاء التفاعلي، حيث كان يستخدم روح الدعابة والغباء المصطنع لفضح التناقضات الاجتماعية. وهذا يتطابق مع تعريفات علماء النفس اليوم: الذكاء الاجتماعي هو القدرة على التصرف بحكمة في المواقف الاجتماعية وحل النزاعات.

نوري جعفر: (بصوت أكاديمي رصين) حتى المتنبي، رغم فلسفته العالية، كان يستخدم الذكاء الاجتماعي في شعره. أتذكر قوله:

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ .. فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ

هذا ليس فقط فخرًا، بل هو تحليل اجتماعي بارد. المتنبي هنا يفهم أن النقد غالبًا ما يصدر من الناقصين، وهو يعرف كيفية تحويل الموقف إلى مكسب اجتماعي. هذه المهارة، وهي جزء من الوعي الاجتماعي، هي ما ينقص الذكاء الاصطناعي حتمًا.

أنا (محمد الربيعي): (باهتمام شديد) ربما هنا تكمن القضية المركزية. إذا أردنا بناء أنظمة ذكاء اصطناعي تخدم المجتمع العراقي، فلا يجب أن نعتمد على الخوارزميات الجاهزة التي تعكس قيمًا ثقافية غربية. يجب أن نأخذ نموذج "الجحا" و"المتنبي" كـ بيانات تدريب ثقافية! تخيلوا ذكاءً اصطناعيًا يُدرَّب على فهم روح الدعابة العراقية، وعلى استيعاب تلميحات الوجه والنبرة التي يتقنها بائعو السوق في الشورجة. لكن هذا مستحيل اليوم، لأن الذكاء الاصطناعي يعتمد على "البيانات الكمية" (الأرقام والنصوص) ولا يعرف شيئًا عن "البيانات النوعية الإنسانية" كالمشاعر المختزنة في الذاكرة الجمعية.

الجولة الرابعة: تحديات العصر الذكاء الاصطناعي ووهم المعرفة

أنا (أواصل حديثي بحماس): اسمحوا لي أن أنتقل إلى الجانب الأكثر إلحاحًا. العراق يتذيل مؤشرات الابتكار العالمية، ونعاني نقصًا في البنى التحتية والتشريعات الداعمة للبحث العلمي والتكنولوجي. لكن الأخطر وهذا ما حذّرتُ منه في كتاباتي الأخيرة هو "وهم المعرفة". فبدلًا من أن يكون الذكاء الاصطناعي أداة لتعزيز التفكير النقدي والذكاء الاجتماعي، أصبح عند البعض وسيلة لاستيراد الحلول الجاهزة التي تُضعف العقل المحلي. يظن البعض أن استخدام شات جي بي تي يجعلهم أذكياء، بينما هو في الحقيقة يجعلهم أكثر تبعية وأقل قدرة على الحوار الاجتماعي الحقيقي.

علي الوردي: (يشيح بيده) هذا هو مرض "ازدواجية الشخصية" بعينه، يا دكتور! نتبنى الأداة الغربية، لكننا نحتفظ بعقلية التبعية. ما فائدة الذكاء الاصطناعي إذا كان لا يعالج الفساد الإداري، ولا يطور التعليم القائم على الحوار، ولا يقرأ التناقضات الاجتماعية؟ الذكاء الاصطناعي يجب أن يكون خادمًا للذكاء الاجتماعي، لا بديلًا عنه.

نوري جعفر : (بصوت حازم) وأنا أؤيدكما، لكن اسمحوا لي بإضافة بُعد تربوي. فلسفتي قائمة على أن الذكاء والسلوك الاجتماعي ليسا قدرات جامدة، بل هما نتاج البيئة والتربية والتجربة. لقد أثبتت الدراسات التربوية في العراق وغير العراق أن البرامج التعليمية المنظمة، التي تتضمن تدريبات على المهارات الاجتماعية، قادرة علـــى رفع مستوى الكفاءة الاجتماعية للطلبة .هذا يثبت أن الذكاء الاجتماعي قابل للتعليم والتنمية، بغض النظر عن التكنولوجيا. لذا، يا دكتور محمد، بدلًا من التركيز على تعويض النقص التكنولوجي فقط، اقترح أن نبدأ ببرامج تربوية وطنية لتنمية الذكاء الاجتماعي، ثم نأتي بالذكاء الاصطناعي ليكون أداة مساعدة، لا عكازًا.

الجولة الخامسة: المستقبل بين المطرقة والسندان

أنا: كلامكما يحفر في ذهني فكرةً، أستاذيّ. لو جمعنا رؤيتكما: التطبيق التربوي لنوري جعفر، والتحليل الاجتماعي العميق لعلي الوردي، وأضفنا إليهما الهندسة الحيوية وعلم الأعصاب، نستطيع أن نصمم "مقياسًا عراقيًا للذكاء الاجتماعي" . مقياس لا يقيس سرعة الحساب، بل يقيس القدرة على حل النزاع، وفهم الإشارات غير اللفظية، واحترام التنوع الثقافي. وبالاستعانة بالذكاء الاصطناعي، يمكن تحليل أنماط السلوك الاجتماعي في الأسواق والمجالس والمدارس، لنكتشف أين يقع الخلل في نسيجنا الاجتماعي.

علي الوردي: (مبتسمًا) فكرة جريئة، لكنها تحتاج إلى جهد جماعي. المشكلة أن المثقف العراقي غالبًا ما يكون "جزيريا"، كل في برجه العاجي. أنت هنا (يشير إلى نوري جعفر) في علم النفس، وأنا هناك في الاجتماع، وأنت (يشير إليّ) في العلوم الطبيعية. يجب أن نكسر هذه العزلة.

نوري جعفر: (يُنهض) أتفق مع دكتور علي. في كتاباتي، كنتُ أحاول دائمًا الربط بين علم النفس والفلسفة والأدب، لأن الإنسان كلٌ لا يتجزأ. الذكاء الاصطناعي مهما تطور سيبقى "آلة" ما لم يُبرمج على احترام هذا الكل الإنساني. العراق، بتاريخه العريق وتنوعه، يملك مخزونًا هائلاً من الذكاء الاجتماعي الكامن في تراثه. مهمتنا هي استخراجه وصقله، لا استبداله بآلات باردة.

الخاتمة: الجلسة الأخيرة في المقهى

نقف الثلاثة على أعتاب المغادرة، وقد امتلأت أذهاننا بالأفكار. أمد يدي لأصافح نوري جعفر، وأشعر بخشونة كفّه التي تحمل عنفوان المعرفة العراقية.

أنا (محمد الربيعي): (وأنا أودعهما) في النهاية، أساتذتي، خلصتُ من حوارنا هذا إلى أن الذكاء الاجتماعي ليس مجرد قدرة نفسية أو

تتمة ص التالية

وصف تشرين بـ "الفتنة" تصريحات تمس الأمن المجتمعي، وأقرار بارتكاب سقوط الشهداء وآلاف الجرحى

طالبت قوى سياسية ولجان احتجاجية منبثقة عن ثورة تشرين السلطة القضائية بالتحقيق في تصريحات أحد قادة الإطار التنسيقي التي وصفت تشرين بالفتنة وأقرت بقمعها، معتبرة هذه المواقف اعترافاً صريحاً بدور الجماعات المسلحة في استهداف المتظاهرين ومحاولة يائسة لنزع مشروعية المطالب الشعبية.

وقال الأمين العام لحزب البيت الوطني حسين الغرابي في حديث لوسائل الإعلام، إن تلك التصريحات تمس الأمن المجتمعي بشكل مباشر، ولا سيما أنها تنطلق من أحد قادة التحالف الحاكم، ما يعكس سلوكاً يفتقر إلى المسؤولية الوطنية عبر وصم أهم حركة احتجاجية شهدها العراق بالفتنة، ومشدداً على وجوب تحرك السلطة القضائية للتحقيق في هذه المواقف الخطيرة التي تتجاهل سقوط مئات الشهداء وآلاف الجرحى وسلسلة المغيبين قسرياً.

ولفت الغرابي إلى أن انتفاضة تشرين لم تكن تهدف إلى إشاعة الفوضى أو تقويض استقرار البلاد كما يحاول البعض تصويرها، إنما جاءت ثورةً اجتماعية وإصلاحية صريحة وقفت بوجه الفساد والمحاصصة والنعرات الطائفية، وحملت تطلعات العراقيين في بناء دولة مواطنة حقيقية تحفظ كرامة أبنائها.

وتابع موضحاً أن التوجه القادم سيكون عبر اللجوء إلى القضاء العراقي لملاحقة المسؤولين عن هذه التصريحات، داعياً ذوي الضحايا والشهداء إلى تحريك دعاوى قضائية متكاملة بهذا الشأن.

واستطرد في حديثه، إلى أن غالبية الأسباب التي دعت الجماهير للخروج لا تزال قائمة وتلقي بظلالها على المشهد، حيث تواصل المحاصصة هيمنتها على مقاليد القرار، فيما يتمتع كبار الفاسدين المتورطين بتبديد الثروات الوطنية بالمكاسب، في وقت تعاني فيه ملايين العراقيين من غياب السكن الملائم وتلاشي فرص العمل الحقيقية. وأن التنظيمات السياسية الناشئة القائمة على مفهوم "الأمة العراقية" متمسكة بمسارها ولن تتخلى عن أهداف الثورة، مستمرةً في أداء مهامها ومواجهة المحاولات السلطوية بعيداً عن الإغراءات والتهديدات دون أي خضوع لأطراف الحكم.

وعلى صعيد التنسيقية للسياسة والحراك الميداني، تجلت مواقف اللجان الاحتجاجية التي

التي قرأت في الخطاب السلطوي السياسي الأخير محاولةً يائسة للتغطية على حجم الهزة التأسيسية التي أحدثها الشارع في هياكل النظام القائم.

وفي هذا السياق، أكد عضو اللجنة المركزية للاحتجاج محمد الفريداوي، في بيان له، أن السجال المحموم الصادر عن قادة الأحزاب السياسية يعكس عمق الأثر الذي تركته الحركة الاحتجاجية في هيكل السلطة، مشيراً إلى أن التظاهرات كادت تطيح بالنظام السياسي بعد أن أجبرت قياداته على إخلاء المنطقة الخضراء والفرار إلى الخارج لإدراكهم حجم الفساد والفشل الذي تراكم طوال السنوات الماضية، مبيناً أن وصف الثورة بالفتنة لا يصدر إلا ممن تسببوا بهدر المال العام وقتل الشباب وسرقة القوت اليومي للمواطنين.

وواصل الفريداوي أن الحركة الاحتجاجية شكلت التعبير الأوضح عن الفجوة العميقة بين السلطة الحاكمة والشارع، إذ جاءت كصرخة مدوية لاستعادة الدولة المفككة في أروقة المصالح بعد سنوات طويلة من التخندق الطائفي والارتهان السياسي وضياع القرار السيادي، معتبراً أن السلمية كانت السلاح الأبرز للجمهور المسترد لإرادته.

وأشار إلى أن التلميحات والإشارات الصادرة بشأن دور الجماعات المسلحة في استهداف المتظاهرين لم تعد سراً مجرداً، إنما تحولت إلى اعترافات علنية وتبجح صريح بعد سنوات من التنصل وإلقاء اللائمة على ما كان يُسمى بـ"الطرف الثالث"، مؤكداً بطلان تلك الفرضية ومؤكداً أن الجهات المتورطة في القمع ليست سوى فصائل وميليشيات تعمل كأجنحة عسكرية لحماية أحزاب السلطة وتغطية شرعيتها المفقودة عقب سحب الشعب الثقة منها.

***

الذكاء الاجتماعي والذكاء الطبيعي.. حوار معرفي

سلوكية، بل هو جوهر الإنسان العراقي الذي تمسّك بعلاقاته رغم الحروب والحصار. الذكاء الاصطناعي قد يُسهل لنا الحصول على المعلومة، لكنه لن يعوضنا أبدًا عن دفء المصافحة، وعن قراءة عيون الآخرين، وعن الحكمة التي تتوارثها الأجيال في مجالسنا. أنا، بوصفي باحثًا في التعليم والتعلم، أرى الآن أن التحدي الأكبر ليس في بناء خوارزميات أسرع، بل في كيفية تصميمها لتخدم هذا النسيج الاجتماعي الفريد، لا أن تنسفه من الداخل.

نوري جعفر: (يبتسم) أحسنت يا بني. وكما قلتُ في أحد كتبي: "العلم بلا إنسانية خراب، والإنسانية بلا علم وهم". اجعل من الذكاء الاصطناعي جسرًا، لا سورًا.

علي الوردي: (يصفق على كتفي) واذكر دائمًا أن "الذكي من يفهم الناس، لا من يحفظ الكتب". هذا هو سر بقاء العراقيين عبر العصور. إلى اللقاء في حلقة أخرى.

يغادرون المقهى كل في اتجاه، لكن أفكارهم تبقى معلقة في هواء بغداد، ممتزجة برائحة الشاي والتراب، تاركةً خلفها مشروعًا فكريًا عراقيًا خصبًا يجمع بين عراقة الماضي، وواقع الحاضر، وتحديات المستقبل.

خلاصة الحوار المعرفي:

يجمع هذا الحوار بين الرؤية التربوية النفسية لنوري جعفر (التي ترى الذكاء قدرة على حل المشكلات والتكيف)، والتحليل الاجتماعي النقدي لعلي الوردي (الذي يركز على ازدواجية الشخصية والتركيبة الاجتماعية العراقية)، ورؤيتي التكنولوجية المعاصرة (التي تحذّر من استيراد الحلول الجاهزة وتؤكد على ضرورة توظيف الذكاء الاصطناعي لخدمة الخصوصية الثقافية والاجتماعية). يستنتج الثلاثة أن الذكاء الاجتماعي ليس بديلاً عن الذكاء الطبيعي بل بُعد مكمّل له، وأنه يظل جوهر الإنسانية الذي لا تستطيع أي آلة محاكاته مهما تقدمت.

** الذكاء الاجتماعي: هو قدرة الفرد على فهم البيئة المحيطة به، والتفاعل والتواصل بفعالية وحكمة مع الآخرين في مختلف المواقف الحياتية. والقدرة على إدراك مشاعر وأفكار وعواطف من حولك، والتصرف بشكل ملائم لبناء علاقات إيجابية ومثمرة.

ص ص

مراجعات

ملخص كتاب (نظام التفاهة) La médiocratie

لـ أستاذ الفلسفة ألان دونو Alain Denault

حيدر حسين سويري

عن الكتاب:

في عام 2017، أصدر المؤلف كتابه هذا تحت عنوان La médiocratie ، وقد نجح الكتاب نجاحاً كبيراً فلاقى رواجاً في كثير من دول العالم بسبب أطروحاته الجريئة وأسلوبه المختلف. ويدور موضوع هذا الكتاب حول فكرة محورية : نحن نعيش مرحلة تاريخية غير مسبوقة، تتعلق بسيادة نظام أدّى تدريجياً، إلى سيطرة التافهين على جميع مفاصل نموذج الدولة الحديثة. يتكون الكتاب من 366 صفحة. (هذا كتاب هام ينبغي أن يقرأ بهدوء).

الكاتب:

مؤلف الكتاب هو ألان دونو Alain Denault أستاذ الفلسفة في جامعة كيبيك الكندية. وهو أكاديمي ناشط، معروف بالتصدي للرأسمالية المتوحشة ومحاربتها على عدة جبهات، لا سيما فيما يتعلق بصناعات التعدين والجنان الضريبية .وقد كانت مساعيه هذه موجعة للأطراف التي حاربها، حتى أنه لوحق قضائياً من قبل بعض أقطاب صناعة التعدين عام 2008، وذلك بعد أن أصدر كتاباً في العام نفسه بعنوان مثير هو كندا السوداء: النهب والإفساد والإجرام في إفريقيا Noir Canada: Pillage, corruption et criminalité en Afrique .

الفكرة الرئيسية:

كتاب نظام التفاهة هو نقد حاد للمجتمعات والمؤسسات الحديثة، ويرى أن «التفاهة» لم تعد مجرد صفة لبعض الأفراد، بل أصبحت نظامًا يحكم كثيرًا من مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والإدارية. حيث يطرح دونو أن المؤسسات المعاصرة تميل إلى مكافأة الأشخاص الذين:

1 ـ لا يطرحون أسئلة مزعجة.
2 ـ يلتزمون بالقواعد السائدة دون نقد.
3 ـ يفضلون الحلول السطحية والآمنة.
4 ـ يتجنبون المواقف الفكرية أو الأخلاقية الواضحة.

وبذلك يتقدم أصحاب الكفاءة المتوسطة أو التفكير المحدود إلى مواقع التأثير، بينما يُهمَّش المبدعون والمفكرون النقديون.

أبرز أفكار الكتاب:

1 ـ سيطرة المنطق الإداري:
يرى المؤلف أن الشركات والجامعات والإدارات أصبحت تركز على المؤشرات والأرقام والإجراءات أكثر من التركيز على المعنى والجودة الحقيقية.

2 ـ تهميش الفكر النقدي:
الأشخاص الذين يشككون في الأوضاع القائمة أو يقترحون تغييرات جذرية يُنظر إليهم غالبًا على أنهم مصدر إزعاج، مما يدفع المؤسسات إلى تفضيل الأشخاص المطيعين.

3 ـ اللغة الفارغة:
ينتقد الكتاب انتشار لغة مليئة بالمصطلحات الإدارية والتسويقية التي تبدو مهمة لكنها غالبًا تخفي غياب الأفكار الحقيقية.

4 ـ التفاهة كنظام لا كأفراد:
المشكلة ليست أن بعض الأشخاص أقل كفاءة، بل أن النظام نفسه يشجع السلوك المتوسط ويكافئه ويعيد إنتاجه.

5 ـ أثر ذلك على المجتمع
يؤدي هذا الوضع إلى:
أ. ضعف الإبداع والابتكار.
ب. تراجع النقاش الفكري العميق.
جـ. انتشار القرارات قصيرة المدى.
د. فقدان الثقة بالمؤسسات.

رسالة الكتاب:

لا يدعو دونو إلى احتقار الأشخاص العاديين أو النخبة، بل يحذر من أن المؤسسات عندما تجعل الامتثال والسطحية أهم من الكفاءة والفكر النقدي، فإنها تخلق بيئة تنتشر فيها «التفاهة» وتصبح معيارًا للنجاح. حيث يرى آلان دونو أن كثيرًا من المؤسسات الحديثة أصبحت تكافئ الامتثال والسطحية أكثر من الفكر النقدي والكفاءة الحقيقية، مما يجعل «التفاهة» تتحول من سلوك فردي إلى نظام اجتماعي متكامل.

منهج الكتاب:

كتاب نظام التفاهة ليس كتابًا أكاديميًا يبني أطروحته على نظرية واحدة واضحة، بل هو عمل نقدي يجمع أفكارًا من الفلسفة وعلم الاجتماع والنقد السياسي. ومع ذلك، يمكن تتبع

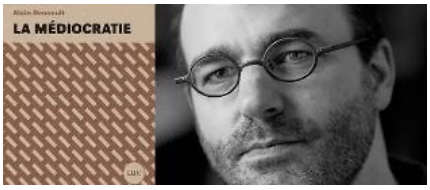

أهم الأسس الفكرية التي اعتمد عليها دونو:

1. البيروقراطية عند (ماكس فيبر):
اعتمد ضمنيًا على أفكار عالم الاجتماع ماكس فيبر حول البيروقراطية.
فـ(فيبر) رأى أن المؤسسات الحديثة تُدار عبر قواعد وإجراءات عقلانية، لكن (دونو) يذهب أبعد من ذلك: عندما تصبح الإجراءات هدفًا بحد ذاتها، يختفي التفكير النقدي ويصبح الموظف مجرد منفذ. الفكرة: النظام يكافئ الالتزام بالإجراءات أكثر من البحث عن الحقيقة.

2. السلطة والانضباط عند (ميشيل فوكو):
تتقاطع أفكار (دونو) مع فلسفة (ميشيل فوكو).
يقول (فوكو): إن السلطة الحديثة لا تعتمد فقط على القمع المباشر، بل تجعل الناس يضبطون أنفسهم بأنفسهم.
و(دونو) يرى شيئًا مشابهًا:
حيث يقول: لا أحد يجبرك على أن تكون سطحيًا. لكن شروط النجاح تدفعك تلقائيًا إلى تجنب المواقف الجريئة. الفكرة: السيطرة تتم عبر تشكيل السلوك لا عبر القمع فقط.

إيجابيات الكتاب:

1 ـ نقد جريء للمؤسسات الحديثة.
2 ـ يسلط الضوء على مشكلات البيروقراطية والشركات والأنظمة التعليمية والإدارية بطريقة تدفع القارئ للتفكير.
3 ـ يثير التساؤل والنقاش
4 ـ يجبر القارئ على إعادة النظر في معايير النجاح والترقي في العمل والسياسة والإعلام.
5 ـ أسلوب فلسفي تحليلي
6 ـ يقدم رؤية فكرية عميقة حول العلاقة بين السلطة والكفاءة والامتثال.
7. يناقش ظاهرة يلاحظها كثيرون
8. يجد بعض القراء أن الكتاب يصف واقعًا ملموسًا حيث تُكافأ الطاعة والتوافق أكثر من الإبداع والنقد.

سلبيات الكتاب:

1. التعميم المفرط

تتمة ص التالية

وصف احتجاجات تشرين بـ«الفتنة»، خطاب يسعى إلى تبرير الانتهاكات بحق المتظاهرين

انتقد مقرر الهيئة الإدارية لمجلس الحقوق والحريات طالب الباهر وصف احتجاجات تشرين بـ«الفتنة»، معتبراً أن هذا الخطاب يسعى إلى تبرير الانتهاكات بحق المتظاهرين وإضعاف مسار محاسبة المسؤولين عنها، فيما كشف عن تحرك قانوني مرتقب بالتنسيق مع عوائل الضحايا والجرحى. وإن إطلاق هذا الوصف على حراك شعبي يستند إلى حق التظاهر والتعبير عن الرأي، المكفول بموجب المادة 38 من الدستور العراقي، «ليس مجرد تصريح عابر»، بل يمثل، بحسب رأيه، محاولة لتوفير غطاء سياسي وقانوني للانتهاكات التي تعرض لها المتظاهرون السلميون.

وأضاف أن هذا التوصيف يستهدف إجهاض ملفات التحقيق القضائي وشرعنة القمع الذي رافق التظاهرات، وتحويل الضحية إلى متهم، بما يؤدي إلى تسويف محاسبة الآمرين والمنفذين، وفق تعبيره. وحذر الباهر من تأثير هذه الخطابات في الحريات العامة، معتبراً أنها تسهم في بث الخوف وترهيب المجتمع وتقييد ممارسة الحقوق الدستورية في التظاهر والتعبير عن الرأي. وأكد أن القوى المدنية والشبابية لن تتراجع عن المطالبة بالإصلاح، مشيراً إلى أن الأزمات السياسية والإدارية تتفاقم في ظل غياب الحلول الحقيقية والاعتماد على المعالجات الأمنية والخطابات التي تستهدف الحراك المدني.

وفي ما يتعلق بعوائل الضحايا، رأى الباهر أن وصف احتجاجات تشرين بـ«الفتنة» يمثل إساءة إلى الحقوق المعنوية والقانونية للضحايا والجرحى وعائلاتهم، ومحاولة لطمس قيمة

تضحياتهم ومطالبهم بالإصلاح والتغيير. وشدد على ضرورة صون حقوق العوائل في العدالة والتكريم والتعويض المنصف، وعدم استخدام الخلافات السياسية للتقليل من معاناتها أو تعطيل مطالبها بالمحاسبة.

وكشف الباهر عن تواصل مستمر مع عوائل الضحايا والجرحى تمهيداً لتحرك قانوني وقضائي داخل العراق ضد صاحب التصريحات ومن يروجون لما وصفه بخطابات التحريض وشيطنة الاحتجاجات. وأضاف أن العمل جارٍ على أرشفة هذه الخطابات وتوثيقها، بهدف تقديمها إلى الهيئات والمحاكم الدولية المختصة بالحقوق والحريات، باعتبارها، من وجهة نظره، مؤشرات على وجود غطاء سياسي ومؤسسي لقمع الحركات المدنية.

وأكد الباهر أن محاولات تشويه الحراك المدني لن تلغي الوقائع أو تنهي مطالب الضحايا، مشدداً على أن العدالة وسيادة القانون ستبقيان أساس المطالبة بدولة المؤسسات والمواطنة.

---

* أثار هادي العامري (رئيس منظمة بدر) جدلاً واسعاً في أواخر آب/أغسطس وأيلول/ سبتمبر 2026 من خلال خطابه في مهرجان اقتُصِر عقده بمحافظة النجف، حيث وصف تظاهرات وانتفاضة تشرين 2019 بـ «الفتنة».

وأبرز ما جاء في كلمة العامري: اعتبر أن ما أسماها فصائل "المقاومة" حمت العراق بشجاعة وأنقذته مما وصفه بـ"فتنة تشرين" في إشارة للاحتجاجات الشعبية التي اندلعت عام 2019..وأشاد بدور الفصائل المسلحة في التصدي لتلك الاحتجاجات بحجة حفظ الدولة والنظام السياسي.

***

ملخص كتاب (نظام التفاهة)

من أكثر الانتقادات شيوعًا أن المؤلف يعمم ظاهرة "التفاهة" على نطاق واسع دون تقديم أدلة كافية على أنها القاعدة العامة.

2. النبرة التشاؤمية
يركز على المشكلات أكثر من الحلول، مما قد يترك القارئ بإحساس بالإحباط.

3. قلة الحلول العملية
الكتاب تشخيصي أكثر منه علاجي؛ يشرح المشكلة بإسهاب لكنه لا يقدم خارطة طريق واضحة للتغيير.

4. لغة فلسفية كثيفة
قد يجد بعض القراء أن الأفكار معقدة أو متكررة، خصوصًا إذا لم يكونوا معتادين على الكتب الفلسفية والنقدية.

5. احتمال التحيز الفكري
يرى بعض النقاد أن المؤلف ينطلق من موقف نقدي تجاه الرأسمالية والمؤسسات المعاصرة، مما قد يؤثر على موضوعية بعض استنتاجاته.

هل يستحق هذا الكتاب القراءة؟

إذا كان القارئ مهتمًا بالنقد الاجتماعي والفلسفة السياسية وتحليل المؤسسات، فالكتاب يستحق القراءة لأنه يطرح أفكارًا مثيرة للتفكير. أما إذا كان القارئ يبحث عن كتاب يقدم حلولًا عملية لتطوير الذات أو الإدارة، فقد يشعر أنه يركز على النقد أكثر من تقديم البدائل.

الخلاصة:

قوة الكتاب في تشخيصه الجريء للواقع وإثارة الأسئلة، وضعفه في التعميم وقلة الحلول العملية. خصوصاً وأن كثير من الفلاسفة ينظرون إلى أن مهمة الفلسفة هي تشخيص المشكلة لا إيجاد الحلول. وهذا الكتاب شخص المشكلة التي يراها معظمنا اليوم.

كذلك أرى أن العنوان يذهب بعيداً بظن القارئ فهو لا يعبر عن محتواه الاصلي، فقد يظن القارئ (عند قراءة العنوان) أن الكتاب يتحدث عن الانحدار الاخلاقي وغياب المعايير المجتمعية عن الفرد والمجتمع، خصوصاً ما نراه على مواقع التواصل الاجتماعي، من مقروآت ومسموعات ومرئيات.

لهذا وبما أن الفكرة تدور حول قمع الانسان طوعاً وبإرادته، يمكننا طرح عدة عناوين للكتاب منها:

الرغبة في الاستعباد.
الاستعباد في زمن الحداثة والتطور.
كن عبداً تحيا سعيداً.

بقي شيء...

بصراحة استمتعتُ بقراءتي لهذا الكتاب ولعل ذلك يرجع لي كوني أحب القراءة، لكن كذلك لا أخفيكم سراً فلقد تسلل لي الملل أحياناً، بسبب الاسهاب والاعادة والتكرار وعدم ايجاد الحلول الناجعة، ولعله الاحساس بالإحباط أيضاً لعدم صدور رؤية واضحة للخروج من هذا المأزق. يبقى تقييمي للكتاب أنه جيد.

متابعات

خسارة 7 مليارات تعيد صفقة الوزارات إلى الصفر... وزعيم العصائب يريد الداخلية تعويضاً

أعادت نصيحة "غير ملزمة" وردت من مرجعية النجف ترفض استحداث 4 مناصب لنواب رئيس الوزراء، ملف استكمال الحكومة العراقية إلى نقطة الصفر، بحسب تقرير لصحيفة "المدى"، تابعته شبكة 964، بعدما استند إليها زعيم ائتلاف دولة القانون نوري المالكي لتعطيل المقترح رغم موافقة 11 زعيماً من أصل 12 في الإطار التنسيقي.

ونقلت الصحيفة عن مصادر سياسية أن، هذا التعطيل فجر أزمة حادة داخل "الإطار"، وشهد اجتماع عقد في منزل رئيس الوزراء الأسبق حيدر العبادي تراشقاً كلامياً بين المالكي وزعيم عصائب أهل الحق قيس الخزعلي، الذي كان يعول على منح شقيقه ليث الخزعلي (المدرج على عقوبات الخزانة الأميركية) منصب نائب رئيس الوزراء، ليرد الخزعلي بالمطالبة بوزارة الداخلية المحسوبة من حصة دولة القانون مقابل تنازل جماعته عن وزارة العمل.

وتشير المصادر إلى أن إلغاء هذه المناصب تسبب بخسائر مالية لأحد الأحزاب الشيعية بلغت نحو 7 مليارات دينار أُنفقت على تجهيز مكتب فاخر، إلى جانب وقف تشكيل فوج عسكري ضخم (800 عنصر) كان مخصصاً للحماية.

من جانبه، يجد رئيس الوزراء علي الزيدي نفسه في "موقف محرج" مع استمرار إدارة حكومته بـ14 وزارة فقط وبقاء 9 وزارات شاغرة منذ أيار الماضي بسبب الصراعات الداخلية واعتراضات واشنطن على أسماء المرشحين لمناصب حساسة، وسط محاولات وساطة يقودها زعيم منظمة بدر هادي العامري لتهدئة الخلافات، مع ترجيحات باللجوء إلى خيار تمرير الوزارات المتبقية "بالتقسيط" عبر جلسات البرلمان القادمة.

وبحسب تقرير صحيفة المدى، تابعته شبكة 964: تسبب زعيم شيعي بارز بخسارة أحد الأحزاب الكبيرة نحو 7 مليارات دينار، وتعطيل التحاق فوج عسكري كامل كان يفترض أن يتولى حماية نائب رئيس وزراء محتمل، بعدما اعترض على استحداث أربعة مناصب جديدة بالحكومة. وأعاد هذا التعطيل قضية استكمال الوزارات الشاغرة إلى نقطة الصفر، وأشعل اشتباكات كلامية داخل اجتماعات "الإطار التنسيقي"، قبل أن تتدخل النجف في محاولة لفض النزاع.

وقال مسؤولان في التحالف الشيعي إن وساطات بدأت تتحرك من داخل "الإطار" لاحتواء الأزمة، في وقت وجد رئيس الوزراء علي الزيدي نفسه في موقف محرج، بعدما بات غير قادر على استكمال حكومته. وتعمل الحكومة منذ أيار الماضي بـ14 وزارة، فيما بقيت 9 وزارات شاغرة بسبب خلافات داخلية، بالتزامن مع اعتراض واشنطن على تسليم بعض الشخصيات مناصب حساسة.

قبل نحو 20 يوماً، اجتمع قادة الإطار التنسيقي في واحدة من جلساتهم الاعتيادية. كان على جدول الأعمال اقتراح استحداث 4 مناصب لنواب رئيس الوزراء. وبحسب مسؤول في حزب شيعي بارز تحدث لـ (المدى) شريطة عدم الكشف عن اسمه، صوّت 11 زعيماً من أصل 12 لمصلحة المقترح. الاستثناء كان المالكي.

لم يكن اعتراضه، كما يقول المسؤول، متعلقاً بالشخصيات المرشحة للمناصب بقدر ما كان متعلقاً بفكرة المناصب نفسها. وبحسب المصدر قال المالكي، إن العراق يمر بأزمة مالية، وإن إضافة 4 مناصب جديدة ستعني أعباء إضافية على حكومة مثقلة أصلاً بالنفقات. وأضاف. نقلاً عن المصدر، بأنه لم يصوّت لمصلحة القرار، لكنه لن يمنعه إذا حصل على غالبية الإطار. وقال النائب الشيعي السابق، الذي طلب عدم نشر اسمه، إن المالكي، رغم كونه المعترض الوحيد داخل الاجتماع، نجح لاحقاً في تعطيل المشروع. ولم يكن التعطيل عبر تصويت جديد، لكن وصلت إلى قادة سياسيين رسائل من مرجعية النجف، بحسب المصدر، تحمل ما وصفه بـ"الرأي والنصيحة غير الملزمة" الرافضة لاستحداث المناصب. فجأة، أصبح القرار الذي وافق عليه معظم قادة الإطار عبئاً على أصحابه.

وتشير المعلومات التي نقلها المصدر إلى وجود رسائل متبادلة بين إحدى الزعامات الكبيرة في الإطار والمرجعية، ويرجح أن يكون همام حمودي، زعيم المجلس الأعلى، طرفاً فيها. لكن المصدر لا يستطيع الجزم بمن بدأ الاتصال: هل دفع المالكي باتجاه هذه الرسائل؟ أم أن المرجعية تحركت استجابة لاعتراضات شعبية وسياسية على استحداث المناصب؟

فيما بعد، اجتمع قادة التحالف الشيعي مرة أخرى في منزل حيدر العبادي، رئيس الوزراء الأسبق. كان الاجتماع اعتيادياً في شكله، لكنه لم يبق كذلك طويلاً.

بحسب المسؤول في أحد الأحزاب الشيعية، حصل تراشق كلامي حاد بين المالكي وقيس الخزعلي، زعيم عصائب أهل الحق، حول قضية نواب رئيس الوزراء. وكان الخزعلي يعول على أن يذهب أحد المناصب إلى شقيقه ليث الخزعلي، لكن المشروع تعطل. وليث الخزعلي مدرج منذ سنوات على قوائم وزارة الخزانة الأميركية، على خلفية اتهامات مرتبطة بتهريب النفط. وبحسب المصدر، لم يتعامل قيس الخزعلي مع تعطيل المنصب باعتباره خسارة منفردة، ورد بطلب آخر وهو الحصول على وزارة الداخلية. لكن، الوزارة، وفق توزيع الحصص داخل التحالف الشيعي، هي من حصة دولة القانون.

لكن هذه ليست أول مرة يصطدم فيها الرجلان، فالخلاف بين المالكي والخزعلي أقدم من هذه الأزمة. عندما طرح المالكي نفسه لرئاسة الحكومة في المرة الأخيرة، كان الخزعلي من أبرز المعترضين على عودته.

المناصب الـ4 لم تكن مجرد عناوين على ورق، وبحسب مصادر مطلعة، كان أحد الأحزاب التي كانت ستنال أحد المناصب قد اختار بالفعل مكتباً فاخراً لنائب رئيس الوزراء المنتظر، وأنفق على تجهيزه مبالغ كبيرة وصلت إلى نحو 5 ملايين دولار (قرابة 7 مليارات دينار). وطرح إلى جانب ليث الخزعلي لشغل أحد المناصب الأربعة، اسم محسن المندلاوي، نائب رئيس البرلمان السابق، واسم محمد تميم، وزير التخطيط السابق. أما المقعد الرابع فكان يفترض أن يذهب إلى شخصية كردية، لم يحسم اسمها. لكن خلاف نواب رئيس الوزراء أعاد الملف كله إلى الوراء. وإن الزيدي اتصل بالمالكي مؤخراً، وسأله سؤالاً مباشراً: "وزارة الداخلية لك أم للعصائب؟".

وكان رئيس الحكومة علي الزيدي، يراقب الخلاف، وقد أبلغ حلفاءه في وقت سابق، بحسب المصادر، بأنه يستعد لتقديم أسماء الوزراء الـ9 الباقين. وانه لا يريد نواباً لرئيس الوزراء، حتى لو كانوا بلا رواتب أو امتيازات. وهو يريد حكومة مكتملة، ويضغط لإنهاء الفراغ في الوزارات التسع.

آراء حرة

العراق ما بين... الحصار الأمريكي الجائر على الشعب الايراني: وتضارب التقييمات بين الإيرانيين وأتباعهم العراقيين!

احسان جواد كاظم

الحصار الأمريكي الجائر

ربما أن أكثر الشعوب التي تفهم ما يعني الحصار الاقتصادي لبلدٍ ما وترفضه، هو الشعب العراقي الذي عانى من ضنك العيش والتخريب الاجتماعي واستفحال قمع نظام دكتاتوري منفلت عقاله مذعور من شعبه، بعد حرب الخليج الثانية عام 1991.

العقاب الأمريكي غير الشرعي موجه عادة للشعوب بجريرة حكامها. فلم يصدر على سبيل المثال حصار دبلوماسي سياسي ضد رؤوس النظام العراقي البائد الذين كانوا يصولون ويجولون في بلدان العالم، و يواصلون نشاطاتهم الدعائية التخريبية والقمعية ضد معارضيهم تحت غطاء الشرعية الدبلوماسية، كما يحلو لهم، كما هو الوضع اليوم بالنسبة للمسؤولين الإيرانيين، بينما يمنع مواطني البلدان المعاقبة من الإفلات من جور هؤلاء الحكام. ولولا خوف الدكتاتور صدام حسين على حياته وقطعه خطوط التواصل حتى مع حكومات وقفت معه قلبياً رغم ضغوط الأمريكان عليها مثل الأردن ...لأعاد تقييم سياساته الرعناء وركن إلى العقلانية، لكن نرجسيته المرضية قتلته وآذت، المفترض، أن يكونوا أبناء شعبه.

وتُعاد اليوم الكرّة !

عقوبات الخزانة الأمريكية الجديدة على الجمهورية في إيران تضع التزامات على البلدان المحيطة بها ومن ضمنها العراق، المتهمة حكوماته المتتالية، مسبقاً بدعمها، حيث يتعامل معها العراق بعشرات المليارات، شهرياً، لشراء بضائع وسلع وغاز إيراني، على حساب تطوره الاقتصادي، إضافة إلى العقوبات المالية السابقة على البنوك العراقية لمنع تسريب وتهريب الدولار الامريكي إلى ايران...

وهذه كلها تضع على كاهل العراقيين أعباء لا ناقة لهم بها ولا جمل.

الحرب الاقتصادية الناعمة التي تشنها الولايات المتحدة ضد الجمهورية الإيرانية لا يمكن لإتباعها في العراق او أي مكان آخر مواجهتها بالسلاح، فهو أمر تتجنبه إيران نفسها، الا إذا كانوا راغبين بالانتحار !

الحق يقال أن الزمرة التي تتربع على الحكم في العراق قدمت الغالي والنفيس لدعم الجمهورية الإسلامية منذ توليها السلطة. فقد رهنت السيادة العراقية والاقتصاد العراقي وكل ثرواته لخدمتها وديمومة دولتها على حساب العراقيين ...بالمال والأفراد والسلاح، الا أن ذلك لم يعد كافياً في ظل الضغوط الاميركية التي تجاوزت القمع الحربي إلى القمع الاقتصادي الذي هو الأكثر إيلاماً وخصوصاً لعامة المواطنين الإيرانيين الأبرياء.

أليس مهماً على أتباع الدولة الاسلامية الايرانية في العراق من الايديولوجيين والمنتفعين منهم، والذين صدعوا رؤوسنا بالعداء للشيطان الأكبر، التضحية، على الأقل، ومقاطعة شركات صناعة السيارات الأمريكية والامتناع مثلاً عن شراء الجكسارات والهمرات والتاهوات والكاديلاك وغيرها .. واستبدالها بالسايبا الايرانية دعماً للاقتصاد المنهار والصناعة الإيرانية، وبذلك يكسبون ثوابين مقاطعة البضائع الأمريكية من جهة ودعم صناعات دولة الولي الفقيه التي ولائهم لها !

المواطن العراقي الذي صادروا حقوقه وحرياته وانتهكوا حرماته و قمعوا شبابه في انتفاضة تشرين المجيدة المنادية بوطن للجميع، يرفض مغامراتهم في زجه في دوامات صراع جديدة وتكرار المواقف الصدامية السابقة الخاسرة وتحميله تبعات مواقف جهات غير مسؤولة وطنياً وغير معنية بمصالحه !

الجحود أتى أيضاً من دولة الولي الفقيه، ذاتها، التي أغلقت مضيق هرمز على بلد مثل العراق، تدين لها حكومته وميليشيات أحزابها الإسلامية لها بالولاء المطلق حد التضحية بقوت أبناء بلدهم ليشبع الإيرانيون ...بيد أن الجحود هذا لم ينته إلى هذا الحد بل صرح قائد في الحرس الثوري أنهم سيدمرون أي محاولات لدول المنطقة، بما فيها العراق، لإيجاد بدائل لتوفير أبسط مقومات الحياة لشعوبهم من خلال مد أنابيب إلى موانئ الجيران.

نجوع و تجوعون !

هذا هو الخيار الذي يقترحونه علينا، مع أن الحرب ليست حربنا وصراع المصالح بين المتقاتلين لا تنفعنا أن لم تضرنا ...وإنما همنا الأول والأخير يبقى سلامة شعبنا ووطننا!

وتضارب التقييمات بين الإيرانيين وأتباعهم العراقيين

السخط الشعبي العام من غياب الخدمات وانتشار الفساد وخنق الحريات والاستئثار لشلة قليلة من القابضين على زمام الأمور في البلاد، واعتبار الدولة فاشلة بسبب الاساس الذي بنيت عليه، نهج المحاصصة الطائفية العرقية.

ممثلو الاحزاب الاسلامية الحاكمة، المهيمنة بالأساس، رغم فشلها في توفير الكهرباء وفشلها في بناء قاعدة صناعية بتروكيماوية وغذائية للبلاد وحل مشكلة السكن ومكافحة البطالة وغيرها من الضروريات، فإن " كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ...!" يمدحون تجربة حكمهم طوال أكثر من عشرين عاماً.

كان من أبرز التصريحات التي لها رنّة في آذان العراقيين، كانت إعلان رئيس الوزراء الأسبق وأحد قادة حزب الدعوة الإسلامية سابقاً إبراهيم الجعفري " - أن العراق في ظل وزارته كان يعيش أزهى عصور التقدم."!

رئيس الوزراء نوري المالكي الذي أعقب الجعفري دافع عن منجزات حكومته - فرض هيبة الدولة واستقرار الأوضاع المعاشية ورواتب الموظفين في أفضل حالاتها) بسبب

تتمة ص التالية

معاناة الفلسطينيين وصمة عار لضمير العالم... بريطانيا تكسر التابوهات المقدسة وتوجه صفعة جديدة

بريطانيا تكسر التابوهات المقدسة وتوجه صفعة جديدة لتل أبيب ..رئيس الوزراء الجديد آندي بيرنهام :معاناة الفلسطينيين وصمة عار لضمير العالم ولن نقف متفرجين أمام ما يحدث لهم ..

في تحول جذري يمثل إعادة صياغة للسياسة الخارجية البريطانية في الشرق الأوسط، اخترق رئيس الوزراء البريطاني آندي بيرنهام جدار الصمت الذي طالما كبل الموقف السياسي في لندن، محطماً كسر عقدة الخوف من اتهامات معاداة الساميّة التي أجهضت سابقاً أي تحرك عقابي ضد التجاوزات الإسرائيلية.

لم يكتفِ بيرنهام بفتح هذا الملف الإشكالي، بل ووجه ضربة كلامية شديدة اللهجة وصف فيها الاستمرار في غض الطرف عن معاناة الشعب الفلسطيني وتجاهل آلامه بأنه يمثل رسمياً وصمة عار على ضمير العالم أجمع، مؤكداً أن حكومته لن تكتفي بعد اليوم بمقاعد المتفرجين بينما تستمر الفظائع في قطاع غزة ويتم التدمير الممنهج لفرص حل الدولتين.

خسائر اقتصادية وضائقة تستهدف المستوطنات وعزل بنيتها التحتية

التصريحات السياسية النارية لم تقف عند حدود المنشورات والمؤتمرات بل تُرجمت فوراً إلى حزمة قرارات حازمة أعلنها وزير الخارجية إد ميليباند، وتضمنت حظراً كاملاً وشاملاً لجميع المنتجات والسلع الصادرة عن المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة والتي تعتبرها لندن غير قانونية بموجب القانون الدولي .

ولم تتوقف الضربة البريطانية عند حدود التبادل التجاري بل امتدت لتطال الشركات والأفراد الذين يقدمون خدمات البناء، التمويل، العقارات، أو البنية التحتية المخصصة لتوسيع هذه المستوطنات، بالإضافة إلى منع تام لأي نشاط ترويجي أو إعلاني داخل المملكة المتحدة يخص العقارات الواقعة في تلك المناطق وفرض عقوبات مباشرة على المستوطنين المتطرفين المتورطين في أعمال العنف ضد الفلسطينيين ، وهي قيود تجارية جادة ستبدأ بالدخول في التنفيذ العملي خلال فترة من ستة إلى تسعة أشهر،

أثارت هذه القرارات المفاجئة موجة عارمة من الغضب والتشنج في الأوساط السياسية في تل أبيب، حيث بادرت الحكومة الإسرائيلية باتخاذ إجراءات تصعيدية سريعة تضمنت إغلاق القنصلية البريطانية في القدس الشرقية كرد رادع على القيود الاقتصادية الجديدة، في حين أوضحت لندن أن هذا القرار الصارم لم يكن خطوة فردية وإنما جاء في إطار تحرك غربي دولي منسق ومحسوب يجمع بريطانيا وفرنسا وكندا، حيث يسعى هذا التحالف الثلاثي إلى محاصرة التوسع الاستيطاني برا وبحرا وتطبيق أحكام القانون الدولي.

أبرز النقاط والموقف الجديد

- **رفض التفرج:** صرح بأن حكومته لن تبقى متفرجة أمام الفظائع المستمرة بحق الفلسطينيين.
- **حل الدولتين:** حذر من التدمير الممنهج لفرص تحقيق السلام وحل الدولتين.
- **تحول السياسة:** يعكس هذا الموقف تغييراً بارزاً في الخطاب السياسي البريطاني تجاه إسرائيل.

لم يكتفِ بيرنهام بفتح هذا الملف الإشكالي، بل ووجه ضربة كلامية شديدة اللهجة وصف فيها الاستمرار في غض الطرف عن معاناة الشعب الفلسطيني وتجاهل آلامه.. مؤكداً أن حكومته لن تكتفي بعد اليوم بمقاعد المتفرجين بينما تستمر الفظائع في قطاع غزة ويتم التدمير الممنهج.

العراق ما بين... الحصار وتضارب التقييمات

الوفرة النفطية ..(بيد أن تقييم عموم العراقيين فترة حكمه كان مختلفاً، فقد شهدت فشلاً إداريا وأمنياً وحملوه مسؤولية الانهيار العسكري وسيطرة داعش على اراضٍ شاسعة من البلاد وفظائع جرائمهم بحق العراقيين....

وهكذا بالنسبة للحكومات المتتالية التي لم توفق مثلاً في حل مشكلة أساسية مثل الكهرباء رغم انفاق مئات المليارات التي ضاعت " كما ملح وذاب ." لكنهم يصرون على إطلاق نعوت وصفات على حكوماتهم، مثل حكومة المقبولية الشعبية او حكومة الانجازات، وتجاوزت بعضها الآخر حدود القدسية مثل - حكومة المتوضئة أياديهم أو حكومة أنفاس الزهراء..

ولكن كان للإيرانيين رأياً آخر في تقييم حكم اتباعها في العراق جاء على لسان أحد محلليها السياسيين المرموقين المقرب من سدة القرار السيد مصدق بور عندما قال " : النظام السابق كان أفضل من الوضع الحالي في العراق .! " (وكالة بغداد اليوم الاخبارية).

ويبدو أن تصريحه قد أصاب مؤيدي الأحزاب الاسلامية التابعة لإيران بالصدمة لغياب المشاركات على مواقع التواصل الاجتماعي.

علق أحد معارضيهم متهكماً " : حاطيها عالميوت) mute الصامت"(، وكتب آخر : ً الذيول في ذهول .." ! معلق آخر عدّه بعثياً فارسياً...!

تقييم السيد مصدق بور استهانة صريحة بتضحيات أتباع مرشده في العراق، ومقدار الدعم الهائل الذي قدموه لخدمة الأجندات الإيرانية في العراق والمنطقة على حساب استقرار بلادهم وتقدمه...

وذهب إيثارهم سُدىً .

تقييم

كلمة العامري بالنجف.. الاعتراف سيد الأدلة

زكي رضا

إن تصريح هادي العامري قائد قوات ميليشيا بدر في خطاب له بمهرجان في النجف، وفي معرض تطرقه لأنتفاضة تشرين أول/ اكتوبر 2019، من أنّ "المقاومة" وقفت "بشجاعة أمام فتنة تشرين وحفظها الدولة والنظام السياسي"، لا يمكن تجاوزه أو اعتباره تصريح عابر أو زلّة لسان. فهذا الرجل يستسهل دماء آلاف الشباب العراقي الذين سقطوا بين قتيل وجريح، وهم يبحثون بين ركام خراب العملية السياسية، عن وطن صادره الفاسدون وجعلوه رهينة لصراعات اقليمية لا ناقة لشعبنا فيها ولا جمل.

والمشكلة ليست في الجدل الذي صاحب تصريحه، والذي سيخفت مع مرور الوقت خصوصا وأن ذاكرتنا السياسية سمكية على الاغلب، بل في ضرورة تحويل هذا التصريح إلى قضية قانونية وقضية رأي عام، ومطالبة القضاء العراقي بالتحقيق فيه، لتهدئة الشارع العراقي. من خلال التحقيق في ما قاله العامري، وما المقصود بكلمة "المقاومة" التي اشار اليها في كلمته، وماذا فعلت وهي تقف امام "فتنة" وفق تصريحه للحفاظ على الدولة والنظام السياسي. وهل هذا يعني مشاركتها في قمع المتظاهرين وقتلهم وجرحهم واختطافهم وتهديدهم..؟

أنّ الفقه القانوني ولأثبات صحة اعتراف المجرم او الجاني بجرمه يعمل على أثبات خمسة نقاط قانونية وهي :"

(1) إن يكون الاعتراف صريحا وواضحا بارتكاب الجريمة.
(2) توفر الأهلية الكاملة للمعترف فلا يؤخذ باعتراف ناقص الأهلية لأي سبب كان.
(3) أن يصدر عن أرادة حرة.
(4) أن يطابق الاعتراف وقائع الجريمة جملة وتفصيلا.
(5) أن لا ينتزع الاعتراف بالإكراه والتعذيب."

هل هناك ضرورة لمناقشة النقاط الخمس اعلاه ونحن نطالب بتوجيه الاتهام للعامري في المشاركة كليا او ضمنيا بقتل وجرح آلاف المواطنين العراقيين الذي خرجوا للتظاهر، بعد تصريحه الاخير!؟ ومع ذلك دعونا نناقش النقاط اعلاه نقطة نقطة. في النقطة الاولى، هناك تسجيلات تناولتها فضائيات ووسائل اعلام تشير دون لبس ولا تلاعب باللغة وتفسير ما جاء به العامري، من ان أعترافه كان صريحا وواضحا، فكلامه ليس بقرآن كريم لنحتاج الى مفسرين لشرحه وتأويله.

في النقطة الثانية نقف امام خيارين، اولهما ان العامري كامل الاهلية، وعليه يجب تقديمه للقضاء بسبب تصريحه، أو ناقص الاهلية، وفي هذه الحالى يجب احالته الى لجنة طبية لأثبات ذلك، وفي حالة اقرارها من انه ناقص الاهلية، فعلى الدولة كف يده عن كل مناصبه السياسية، ومنعه من ممارسة السياسة كونه يشكل خطرا على المجتمع والدولة.

في اثبات النقطة الثالثة، نحن بحاجة فقط الى عرض خطبته على تقنيين لأثبات صحة ما جاء في خطبته، وكونها ليست مفبركة او من صنع الذكاء الاصطناعي، وعند اقرار التقنيين من ان خطبته كانت صحيحة فهذا يعني انها صادرة عن ارادة حرة، وليس عن طريق الضغط أو الأكراه.

اما النقطة الرابعة، فليس المطلوب أن نقول إن تصريح العامري أثبت وحده وقوع كل جرائم تشرين، وإنما أن نضع ما قاله أمام الوقائع التي وُثقت أحداثها من قبل جهات اعلامية محلية وعربية وأجنبية، وأمام أسماء الضحايا ومواقع الأحداث والتسجيلات والصور والشهادات والتحقيقات، وأن نترك للقضاء مهمة معرفة ما إذا كان ثمة تطابق بين ما قاله وبين ما حدث على الأرض.

فتظاهرات تشرين لم تكن حادثة عابرة يمكن إنكار وجودها أو نتائجها. وقد وثقت الأمم المتحدة عمليات قتل وإصابات واعتقالات واختطاف واستهداف لناشطين، كما بقيت هوية الجهات المسلحة أو الطرف الثالث "مجهولة"، قبل ان يميط العامري عنها اللثام.

أما النقطة الخامسة فهي واضحة كما الشمس في رابعة النهار، كون من ينتزع الأعترافات بالأكراه والتعذيب، ليس مواطنون عاديون، بل سلطات حكومية أو سلطات موازية للدولة، تملك

من الوسائل ما يجعلها أن تنتزع الاعترافات بالاكراه والتهديد، وتلفيق التهم لمن تشاء. كما وان العامري وهو يدلي بتصريحه هذا لم في يكن في مركز توقيف، أو قبو من اقبية التعذيب ليتم أجباره على التصريح الخطير هذا.

نستطيع أن نضيف مواد قانونية أخرى لأثبات ما أعترف بها العامري بعظمة لسانه، ففي تعريف ماهية الأعتراف في باب الاعتراف بالدعاوى الجنائية، وفق قانون أصول المحاكمات الجنائية العراقي، نقرأ أن المادة (218) اشترطت : "أن لا يكون الإقرار قد صدر نتيجة أكراه مادي أو أدبي أو وعد أو وعيد" كما نصت المادة (219) على: "يجوز تجزئة الإقرار والأخذ بما تراه المحكمة منه صحيحا وطرح ما عداه .غير انه لا يجوز تأويله أو تجزئته أذا كان هو الدليل الوحيد في الدعوى".(*) هذه النقاط نضعها أمام القضاء العراقي، لدراسة ما قاله العامري، حول جرائم الميليشيات التي قتلت وجرحت آلاف الشباب بحجة حفظ الدولة والنظام السياسي كما صرّح في مهرجان بالنجف.

أن العامري كان صادقا بكل كلمة قالها في خطبته، ولو عدنا الى أحداث انتفاضة تشرين اول/ اكتوبر 2019 ، فأن الفصائل المسلحة والمنضوية تحت مظلة الحشد الشعبي، لم تكن الوحيدة التي شاركت في الجريمة، بل كانت جزء من مجموعة فصائل غير عراقية، أتخذت غرفة عمليات متقدمة كمركز لقمع المنتفضين وقتلهم، وكان على رأس من يدير هذه الغرفة، كلا من قاسم سليماني وابو علي المهندس.

إنّ أعتراف العامري وفي ظل الاحتجاجات اليومية التي تجري بالبلاد، علينا الاخذ بها

تتمة ص التالية

مراجعات

«الفصائل تناور بشروط نزع السلاح»

تميم الحسن

على ما يبدو، تتجه المفاوضات مع الفصائل ـ في حال نجحت ـ إلى تطبيق خطة طهران القائمة على «خزن السلاح» بدلاً من «نزعه»، فيما لم يحسم حتى الآن مكان تخزين هذه الترسانة.

وتقول مصادر مطلعة إن طهران تمكنت بعد زيارات مكثفة إلى بغداد الشهر الماضي، في دفع الأطراف نحو تسوية تبقي السلاح، من دون أن يبقى ظاهراً في المشهد.

ووفق هذه الصيغة، التي لم تعلن رسمياً حتى الآن، لن تقوم الفصائل بتحريك سلاح أو تنفيذ عمل مسلح خارج إطار التسوية بعد 30 أيلول، وهو موعد خروج القوات الامريكية من البلاد.

لكن السؤال الذي يطل من خلف الاتفاق هو الأصعب: إذا بقي السلاح مخزوناً، فما الدور الذي ستلعبه الفصائل بعد ذلك؟

بحسب معلومات وصلت من مصادر أمنية، فإن الإجابة قد تكون في إنشاء جماعات صغيرة مجهولة الهوية، تشبه إلى حد ما مجموعة «الخفاف» التي ظهرت خلال احتجاجات تشرين 2019 وما بعدها.

لن تحمل هذه الجماعات، بالضرورة، أسماء الفصائل المعروفة. وستكون مهمتها أن تتحرك في المساحات التي يصعب فيها إثبات من يقف خلفها.

من «الخفاف» إلى جماعات بلا اسم

تقول المعلومات إن هذه التشكيلات يمكن أن تستخدم لإصدار بيانات باسم جماعات يجري اختيار أسمائها لاحقاً، بهدف الضغط لتمرير قوانين أو إلغاء أخرى.

ومن الأمثلة التي تستعيدها المصادر جماعة عرفت باسم «جبهة أبو جداحة»، والتي ارتبط اسمها خلال السنوات الماضية بإحراق مقرات حزبية ومؤسسات إعلامية.

لكن الوظيفة المقترحة للجماعات الجديدة ستكون أوسع من إصدار البيانات.

بحسب المصادر الأمنية، يمكن أن تستخدم هذه المجموعات للتأثير في الانتخابات ودعم شخصيات سياسية بعينها، أو لتهديد الحكومة ومسؤولين إذا عارضوا توجهات الفصائل، خصوصاً في القضايا المرتبطة بما يسمى «محور المقاومة».

وقد يصل الأمر إلى تهديد الاستثمارات الأميركية والسعودية في العراق، مع احتمال استخدام الصواريخ والطائرات المسيرة.

كما يمكن توظيفها في تأزيم العلاقة بين بغداد وإقليم كردستان، من خلال اتهامات بوجود مراكز تابعة للمخابرات الأميركية أو الإسرائيلية.

هذه الجماعات، وفق المعلومات، لن تعمل بالضرورة وفق هيكل تنظيمي تقليدي. بل ستستخدم ما تصفه المصادر بـ »التنظيم الهجين»، الذي يجمع بين الخلايا المغلقة والروابط اللامركزية والقيادات المحدودة، بما يجعل تتبع العلاقات بينها أمراً أكثر صعوبة.

وهذه الفكرة ليست جديدة تماماً، فخلال احتجاجات تشرين وما بعدها، استخدمت فصائل جماعة أطلق عليها اسم «الخفاف»، وكشفت (المدى) حينها عن صلتها بتنفيذ عمليات اغتيال لناشطين.

وسميت المجموعة بهذا الاسم بسبب خفة تنفيذ العمليات وسرعة إخلاء مسرح الحادث، وهو ما كان يجعل معرفة المجموعة التي نفذت العملية أمراً شديد الصعوبة.

طهران تبحث عن صيغة تمنع الصدام

وجاءت هذه التطورات عقب ما وصفته مصادر مطلعة بـ»تدخلات طهران»، عبر زيارات مكثفة لمسؤولين إيرانيين إلى بغداد الشهر الماضي، انتهت إلى انتزاع قرار بـ»بقاء غير محدود» للفصائل، مقابل انسحاب كامل للقوات الأميركية من العراق، واعتماد خيار «خزن السلاح» بدلاً من «نزعه».

وبذلك، بدت التسوية وكأنها محاولة لإبعاد شبح الصدام الداخلي الذي كان يخشى أن ينفجر إذا حاولت الحكومة إجبار الفصائل على تسليم ترسانتها.

وقبل أيام، تعهد هادي العامري، زعيم «منظمة بدر»، في فعالية سياسية في بغداد، بأنه لن يحدث صدام «مطلقاً» في الداخل بسبب السلاح.

لكن الاتفاق لم يحسم بعد السؤال الأهم: من سيملك المخازن؟ وهناك، وفق المصادر، خياران.

الأول أن توضع الأسلحة في مخازن تابعة لهيئة الحشد الشعبي، مع تسجيل أرقامها وكمياتها والجهة التي تعود إليها.

والثاني أن تبقى الأسلحة في مخازن الفصائل نفسها، على أن تقدم تعهداً بعدم استخدامها إلا بموافقة الحشد.

أما الخيار الثاني، بحسب المصادر، فقد يفتح الباب أمام عودة جماعات «الخفاف» بصيغتها الجديدة، عندما تستدعي الحاجة.

***

العراق ما بين... الحصار وتضارب التقييمات

كتهديد مبطن لمن يفكر في المشاركة بهذه الاحتجاجات المطلبية التي وضعت النظام في مأزق، أو في من يفكر بتنظيمها لتكون أكثر اتساعا وتنظيما، خصوصا وان سلطة المحاصصة تعاني وعلى رأسها القوى الشيعية، من أزمات اقتصادية وسياسية، بعد أن جعلت البلاد جزء من صراع اقليمي ليس لشعبنا ووطننا مصلحة فيه.

لنعود الى الوراء قليلا ونقرأ تصريح المالكي من انه ولي الدم في حادثة مقتل الصحفي محمد البديوي، ومقارنتها بما يجب أن يفعله الزيدي. باعتباره ولي دم كما المالكي. لنطلب منه أي الزيدي أن يكون ولي دم لآلاف الضحايا الذين قتلوا وجرحوا على يد الميليشيات، والتي اعترف العامري بفعلتها، فاتحا تحقيقا رسميا مع العامري. السيد العامري، أن الدولة لا تحتاج إلى "مقاومة" لحمايتها من مواطنيها، كون الدولة تحميها المؤسسات الدستورية والقانون والقضاء والقوات الرسمية الخاضعة للقانون والتي هي تحت امرة رئيس الوزراء وتتلقى اوامرها المباشرة منه لا الفصائل المسلحة، هذا إن كان العراق دولة بنظركم، علما ان المتظاهرين لم يتظاهروا لهدم الدولة، بل خرجوا باحثين عن وطن يعيشون فيه بكرامة، بعيدا عن فسادكم وسرقاتكم التي أزكمت الأنوف.

أما السكوت على تصريح العامري، وعدم وضع تصريحه أمام القضاء للتحقيق فيه والمقارنة مع الأدلة والوقائع، فلن يؤدي إلا إلى ترسيخ القناعة بأن هناك أشخاصا فوق القانون. وهذا السكوت ان حدث ليس انتصارا للعامري، بل هزيمة للدولة العراقية نفسها. فإن كان الاعتراف ليس بحكم قضائي، لكنه ليس كلام يجب أن يضيع في (سوق صفافير) السياسة العراقية. فهل سيستمع القضاء للعامري، ثم يقول كلمته استنادا لاعترافه ويقارنه بالوقائع التي نتجت عن افعال "المقاومة" في "حفظها للدولة والعملية السياسية"!؟.

العامل بالظلم والمعين عليه والراضي به: شركاء ثلاثة .. (الامام علي بن ابي طالب)

(*) المستشار سعيد النعمان ، عضو اللجنة القانونية في المنتدى العراقي للنخب والكفاءات

آراء حرة

الحرب على إيران والأشكالية السيكولوجية السياسية للدور الأمريكي الإيراني في العراق وخصوصية النخب السياسية العراقية (1)

د. عامر صالح

الكثير منا يقف الى جانب ايران انطلاقا من العداء لأمريكا " عدو عدوي صديقي" أو انسجاما مع اجندة ايران، وأن ايران دولة ونظام وشعب معتدى عليها وهذا حق في شكله الظاهر لأنه يخلط بين الشعب الأيراني والنظام وان كلاهما واحد ولكن الشعوب تأخذ بجريرة حكامها وخاصة في زمن الحروب فتدفع ثمن باهظا حتى وأن كانت الفجوة عميقة بين الشعب والنظام حيث الخسائر في الأرواح والبنى التحتية وقلق المستقبل والخوف من المجهول الى جانب عمق الآثار النفسية والاجتماعية لصدمة الحرب وما بعدها.

النظام الأيراني يصدر الثوة ويعد مبدأ "تصدير الثورة" ركيزة أيديولوجية واستراتيجية أُسست لها مرجعية قانونية ودستورية في هيكل الجمهورية الإسلامية الإيرانية لربط السياسة الداخلية بالامتداد والنفوذ الخارجي. وتحاول ايران فرض نموذج سياسي اثيوقراطي على دول المنطقة والبعض يقول ان الدول تبحث عن مصالحها وايران جزء من ذلك ولكن هناك فرق بين البحث عن المصالح وبين الهيمنة وتصدير نموذج سياسي الى دول الجوار مقترنا بسلوكيات فرض الأرادة بل والتعامل مع فصائل وقوى خارج الدولة لتنفيذ أجندة سياسية دون حسبان لحسن الجوار واحترام سيادة الدول وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، وان هذه السياسة وبالرغم من ادانتنا للعدوان الأمريكي والأسرائيلي على ايران فأنها تشدد من قبضة العداء لأيران والريبة منها والحذر حتى من اقرب جيرانها.

ايران ومنذ نشأة الجمهورية الإسلامية في العام 1979 تنفذ اجندتها العقائدية في التوسع من خلال دعم الفاعلين من غير الدول: بناء وتمويل شبكة من الفصائل والمليشيات المسلحة في المنطقة، واستغلال الفراغ السياسي من خلال التغلغل في الدول التي تعاني من ضعف السلطة المركزية أو الحروب الأهلية، او من خلال القوة الناعمة: تأسيس مراكز ثقافية ودينية وتعليمية لنشر الفكر الثوري الإيراني ذو النزعة المذهبية المؤدلجة.

وبالمقابل أن دول الجوار الخليجي والأسلامي ليست ذلك الحمل الوديع والمسالم فقد ساهمت البعض منها في رعاية الأرهاب وتمويله وإرسال الأنتحاريين من تنظيمات القاعدة وداعش والنصرة وغيرها من التنظيمات الأجرامية ونشر الخطاب التكفيري القائم على الكراهية الطائفية واشعال الصراعات الطائفية السياسية وقد دفع العراق بعد 2003 مئات الآلاف من ضحايا هذا الأرهاب وكذلك العبث في استقرار وأمن العديد من الدول العربية كسوريا والجزائر وتونس وليبيا واليمن ومصر والسودان وضرب وحدة النسيج المجتمعي لتلك الدول من الداخل" وهنا لا نناقش طبيعة النظم القمعية في أغلب الدول المذكورة أعلاه " ولكن المفارقة المضحكة ان هذه الدول الخليجية التي تتدخل عبر أذرعها الإرهابية تتدعي انها تريد بناء ديمقراطية وعدالة اجتماعية في تلك الدول وهي لا تمتلك مقومات ذلك في الداخل.

كان بأمكان ايران ان تنتهج طريق التنمية الاقتصادية والبشرية الشامل وتنظم الى النمور الأسيوية السبعة (كوريا الجنوبية، تايوان، سنغافورة، هونغ كونغ، ماليزيا، إندونيسيا، والفلبين) إلا أن عسكرة الدولة والمجتمع واستنزاف الموارد المالية على برامج التسلح فوت فرصا تاريخية على ايران كان بإمكانها أن تضاهي كل دول الخليج العربي مجتمعة وكان بأمكانها ايضا ان تحرص على مصالحها سلميا في الشرق الأوسط.

الموقف مع ايران الشعب اليوم هو موقف أخلاقي وانساني ولا يحتاج الى مزيدا من التردد والعناء وتجربة احتلال العراق وتفكيك دولته ماثلة أمامنا والتي تمت بعنوان " الفوضى الخلاقة " والتي تحولت منذ سقوط الدكتاتورية الى "فوضى هدامة" تم فيها تحطيم الدولة العراقية ومؤسساتها وحولت البلاد الى غنائم تتقاسمها احزاب السلطة والى مناسبات لسرقة المال العام والى الفساد الأداري والمالي ونهب أموال الدولة التي بلغت قيمتها منذ 2003 أكثر من ترليوني دولار.

ومن يتمنى إحلال النموذج العراقي وبالقوة العسكرية الأمريكية والأسرائيلية على ايران انتقاما من النظام الأيراني فهو وأهم وفي غيبوبة جيوبولتيكية وان هذا النموذج إن حل بأيران فهو لا يهدد وحدة ايران بل يهدد المنطقة بالكامل.

أما بالنسبة لفهم الدور الإيراني والأمريكي في العراق بوصفه صراع نفوذ طويل الأمد، لكنه ليس مجرد صراع بين دولتين؛ بل هو أيضاً نتيجة مباشرة لبنية الدولة العراقية التي تشكلت بعد 2003. ويمكن ايجازه بالشكل الآتي:

أولاً: الدور الأمريكي

الولايات المتحدة غيّرت بنية العراق جذرياً بعد غزو 2003 وإسقاط نظام صدام حسين. وقد أنهى الاحتلال النظام الدكتاتوري، لكنه ترك في الوقت نفسه فراغاً سياسياً وأمنياً استثمرته قوى داخلية وإقليمية، وفي مقدمتها إيران.

ويمكن تلخيص النفوذ الأمريكي في أربعة مجالات:

- الأمني والعسكري: بناء وتدريب القوات العراقية، ثم العودة العسكرية لمحاربة تنظيم داعش بعد 2014.
- السياسي: دعم النظام السياسي الجديد ومؤسساته وعلاقاته الدولية.
- الاقتصادي: النفوذ عبر الاستثمار والطاقة والنظام المالي والعلاقات التجارية.
- الدبلوماسي: التأثير في علاقة بغداد بالعالم العربي والغرب.

لكن المفارقة الكبرى أن الولايات المتحدة أسقطت الخصم التاريخي لإيران في العراق، أي نظام صدام حسين، ثم وجدت نفسها تنافس إيران داخل العراق الذي ساهمت هي في إعادة تشكيله. هذه من أكبر مفارقات حرب 2003.

ثانياً: الدور الإيراني

إيران لم تحتج إلى احتلال العراق لكي يكون لها نفوذ فيه. فقد استفادت من:

الجغرافيا، الحدود الطويلة، الروابط الدينية والاجتماعية، الأحزاب والحركات العراقية،

تتمة ص التالية

الفصائل المسلحة،التجارة والطاقة. ومنذ 2003 وسّعت طهران علاقاتها مع قوى سياسية وأمنية واقتصادية عراقية، وأصبح نفوذها متعدد المستويات، وليس محصوراً في الحكومة المركزية.

والأهم أن إيران تنظر إلى العراق من منظور الأمن القومي الإيراني:

لا تريد عودة عراق قوي معادٍ لها كما حدث في حرب 1980- 1988، ولا تريد عراقاً يتحول إلى قاعدة أمريكية متقدمة على حدودها. ولهذا أصبح العراق بالنسبة لطهران عمقاً أمنياً وسياسياً واقتصادياً.

ولهذا يمكن القول إن أمريكا تمتلك أدوات قوة أكبر، بينما تمتلك إيران أدوات نفوذ محلية أكثر تجذراً.

ثالثا: المشكلة الأعمق: العراق أصبح ساحة صراع

المشكلة ليست أن إيران وأمريكا تتدخلان في العراق فقط؛ بل أن النظام السياسي العراقي نفسه أصبح جزءاً من التنافس بينهما. فعندما تكون الدولة ضعيفة والمؤسسات منقسمة، تستطيع القوى الخارجية العمل من خلال القوى السياسية والاقتصادية والأمنية المحلية. وقد وصفت دراسات عديدة العراق بأنه أصبح محوراً للمنافسة الاستراتيجية الأمريكية–الإيرانية منذ 2003. وهنا تظهر نتيجة خطيرة:

كلما ضعفت الدولة العراقية، ازدادت قدرة الخارج على التأثير فيها؛ وكلما ازدادت قوة الدولة ومؤسساتها، تراجع احتياج القوى السياسية العراقية إلى الحماية الخارجية.

رابعا: البعد النفسي والسياسي

من زاوية علم النفس السياسي، يمكن النظر إلى العراق باعتباره يعيش بين نوعين من القلق:

القلق الإيراني:
إيران تخشى عراقاً قوياً متحالفاً مع الولايات المتحدة، خصوصاً بسبب التجربة الدموية للحرب العراقية–الإيرانية.

القلق الأمريكي:
واشنطن تخشى أن يتحول العراق إلى قاعدة نفوذ إيراني واسعة، أو إلى دولة تخرج بالكامل من المجال الأمريكي.

أما القلق العراقي فهو الأخطر:

أن يتحول العراق من دولة صاحبة قرار إلى ساحة يتنافس الآخرون على قرارها. وهذا يفسر جانباً من ظاهرة الاستقطاب السياسي العراقي بعد 2003.

خامسا: هل العراق إيراني أم أمريكي؟

العراق ليس تابعاً بالكامل لإيران، وليس تابعاً بالكامل للولايات المتحدة. توجد داخله قوى سياسية واجتماعية وقومية ووطنية متعددة، كما أن المصالح العراقية لا تتطابق دائماً مع مصالح أي من الطرفين.

والاتجاه الأكثر عقلانية للعراق هو سياسة التوازن:

علاقات جيدة مع إيران بحكم الجغرافيا والمصالح،

وعلاقات جيدة مع الولايات المتحدة بحكم المصالح الأمنية والاقتصادية والدولية، لكن دون أن يتحول العراق إلى تابع لأي منهما. وفي الوقت الحالي، تتجه العلاقة الأمريكية–العراقية إلى إعادة صياغة الوجود العسكري الأمريكي، بينما يستمر التنافس على النفوذ السياسي والأمني والاقتصادي داخل العراق.

ويمكن القول هنا أن إيران تريد عراقاً آمناً بالنسبة لأمنها وغير معادٍ لها، والولايات المتحدة تريد عراقاً مستقراً لا يقع تحت الهيمنة الإيرانية. أما المصلحة العراقية الحقيقية فهي أوسع من ذلك: عراق قوي، مستقل القرار، يحتفظ بعلاقات متوازنة مع واشنطن وطهران دون أن يكون ساحة صراع بينهما.

قد يكون السؤال الأكثر إثارة هو: هل أدى الصراع الأمريكي–الإيراني إلى صناعة "دولة عراقية ضعيفة" يستفيد الطرفان من بقائها بهذه الصورة؟ وهذا يقود إلى تحليل سيكولوجيا التبعية السياسية وصناعة النخب العراقية بعد 2003.

أن قراءة سيكولوجيا التبعية السياسية وصناعة النخب العراقية بعد 2003 بوصفها إحدى أهم مفاتيح فهم لماذا بقيت الدولة العراقية ضعيفة رغم امتلاكها موارد بشرية ونفطية كبيرة:

1. التبعية السياسية ليست مجرد عمالة للخارج:
التبعية في علم النفس السياسي لا تعني بالضرورة أن السياسي «عميل» لدولة أجنبية. قد تكون أعمق من ذلك: اعتماد نفسي وسياسي على قوة خارجية تمنح النخبة الشعور بالأمان والشرعية والقدرة على البقاء.

وهنا تظهر معادلة خطيرة:
ضعف الدولة - خوف النخبة - البحث عن حامٍ خارجي - زيادة نفوذ الخارج - استمرار ضعف الدولة.
أي أن التبعية قد تتحول إلى دائرة نفسية وسياسية مغلقة.

2. ماذا حدث بعد 2003؟
سقوط النظام السابق لم يغير السلطة فقط؛ بل أحدث انهياراً في منظومة الدولة والشرعية القديمة. ومع إعادة بناء النظام السياسي ظهرت نخب جديدة، بعضها كان قادماً من المعارضة والمنفى، وبعضها من القوى الاجتماعية والسياسية التي صعدت بعد 2003. هذه النخب وجدت نفسها أمام دولة ضعيفة ومجتمع شديد الانقسام، فكان من الطبيعي أن تبحث عن مصادر جديدة للشرعية والحماية. وهنا أصبحت العلاقة مع القوى الخارجية أكثر أهمية.

3. من "قوة الدولة" إلى "قوة الحماية"
في الدولة الطبيعية، السياسي يحتاج إلى الدولة كي يحكم. أما في الدولة الهشة، فقد يحدث العكس:

السياسي يحتاج إلى الحزب، والحزب يحتاج إلى الشبكة، والشبكة تحتاج إلى الحماية، والحماية قد تأتي من الخارج.
وهنا تتراجع قيمة المؤسسات مقابل قيمة العلاقات الشخصية والسياسية. وهذا يؤدي إلى نشوء ما يمكن تسميته: " الشخصنة السياسية "، أي أن الولاء للشخص أو الحزب أو الجماعة يصبح أقوى من الولاء للمؤسسة.

4. سيكولوجيا الخوف
الخوف عنصر أساسي في فهم النخب العراقية بعد 2003.
هناك خوف من: عودة الاستبداد، فقدان السلطة، الإقصاء السياسي، الجماعات المسلحة، الخصوم الداخليين، التدخلات الخارجية وفقدان الحماية السياسية.

عندما يعيش السياسي في بيئة يشعر فيها أن خسارة السلطة قد تعني خسارة كل شيء، فإنه يصبح أكثر استعداداً لبناء شبكات حماية بدلاً من بناء مؤسسات مستقلة. ومن هنا يمكن أن يتحول الخوف من المستقبل إلى اعتماد على الخارج.

يتبع في العدد القادم

رأي وفكر

» تقييم استراتيجي لهيكلية الأمن الخليجي « هل يمكن لدول الخليج الناشئة تحقيق سلام قليمي مستدام؟ (1)

فلاديمير نوروف *

ترجمة : صوت الصعاليك *

تناول المعهد الدولي لدراسات الشرق الأوسط والبلقان (IFIMES)، آخر التطورات في الشرق الأوسط في أحدث مقالاته بعنوان "هل تستطيع دول الخليج تحقيق سلام مستدام واستقرار إقليمي؟ تقييم استراتيجي لهيكلية الأمن الخليجي الناشئة". استعرض فيه فلاديمير نوروف - وزير خارجية أوزبكستان السابق، والأمين العام السابق لمنظمة شنغهاي للتعاون (SCO)، ونائب رئيس المجلس الاستشاري لمعهد (IFIMES) - المشهد الأمني المتطور في منطقة الخليج،

ويقترح هيكلية أمنية خليجية قائمة على الملكية الإقليمية. ويتمحور هذا المقترح حول "مسار مسقط"، وهو إطار شامل للحوار الإقليمي، وبناء الثقة، والوقاية من الأزمات، والتطوير المؤسسي التدريجي، مستوحى من تجربة مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا (CSCE) ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE). وقد صُمم هذا المقترح ليكون مكملاً للشراكات الأمنية الدولية القائمة، مع تعزيز الملكية الإقليمية والاستقلال الاستراتيجي والاستقرار طويل الأمد.

ملخص تنفيذي

شهد المشهد الاستراتيجي في منطقة الخليج تغيراً جذرياً في أعقاب المواجهة بين إيران وإسرائيل والهجمات المباشرة التي استهدفت دول الخليج عام 2026. فعلى مدى عقود، اعتمد أمن الخليج بشكل أساسي على قوى خارجية، ولا سيما الولايات المتحدة؛ وقد كشفت الصراعات الأخيرة عن نقاط القوة ومواطن القصور في هذا النموذج.

لقد نجح مجلس التعاون الخليجي في حماية جزء كبير من بنيته التحتية الحيوية بفضل أنظمة الدفاع الصاروخي المتكاملة والتعاون الوثيق مع الولايات المتحدة وشركاء آخرين. ومع ذلك، وجدت دول الخليج نفسها منخرطة في صراع لم تبدأه ولم تكن تملك زمام السيطرة عليه.

ومن ثم، لم يعد السؤال الجوهري يتمحور حول قدرة الخليج على الدفاع عن نفسه عسكرياً، بـــل حول إمكانية تطوير نظام أمني إقليمي قادر على ترسيخ السلام المستدام، مع الحد في الوقت ذاته من انكشاف المنطقة أمام تداعيات التنافس بين القوى العظمى.

وتشير التطورات الأخيرة إلى إجابة تتسم بتفاؤل حذر؛ إذ تتمتع منطقة الخليج بموارد مالية هائلة، وتماسك سياسي، وقدرات عسكرية حديثة، ونفوذ دبلوماسي. ورغم ذلك، لا تزال هناك عقبات هيكلية قائمة، تشمل التنافسات الإقليمية العالقة، والتحدي الإيراني، والقضية الفلسطينية، وانعدام الأمن البحري، والاعتماد على التكنولوجيا العسكرية الأجنبية.

إن المسار الأكثر واقعية نحو تحقيق سلام مستدام لا يكمن في الهيمنة العسكرية، بل في بناء هيكلية أمنية متعددة المستويات تجمع بين الردع، والدبلوماسية، والتكامل الاقتصادي، والملكية الإقليمية للقرار الأمني.

أولاً: التطور التاريخي لأمن الخليج

على مدى ما يقرب من خمسة عقود، ارتكز أمن الخليج على ثلاث ركائز:
الحماية العسكرية الأمريكية؛
استقرار صادرات النفط؛ و
اتفاقيات الدفاع الثنائية.
وشملت أبرز المحطات الفاصلة:
الثورة الإيرانية عام 1979؛
الحرب الإيرانية العراقية؛
الغزو العراقي للكويت؛
التدخل الأمريكي في العراق؛
الربيع العربي؛
الصراع في اليمن؛
اتفاقيات أبراهام؛ و
المواجهة بين إيران وإسرائيل.

وقد أدت كل أزمة إلى زيادة الانخراط العسكري الخارجي، مع كشف نقاط الضعف الإقليمية في آن واحد.

ويختلف الصراع الأخير عن سابقيه بكونه استهدف بشكل مباشر البنية التحتية لدول مجلس التعاون الخليجي، بدلاً من الاقتصار على ساحات معارك بالوكالة. ونتيجة لذلك، دخلت دول الخليج مرحلة استراتيجية جديدة تتسم بمزيد من الثقة، وتعميق التنسيق الإقليمي، والتركيز بشكل أقوى على الاعتماد على الذات.

لقد عززت استثمارات هذه الدول في أنظمة الدفاع الجوي المتكاملة، وحـماية البنية التحتية

الحيوية، وتنويع العلاقات الدبلوماسية من قدرتها على الصمود. وفي الوقت نفسه، أثبتت الصراعات الأخيرة أن القدرات العسكرية وحدها لا يمكنها ضمان السلام إذا ظلت الهيكلية السياسية المحيطة هشة.

ومن ثم، فإن قيام نظام إقليمي مستدام يرجح أن ينبثق عن نهج متعدد المستويات: الحفاظ على شراكات قوية مع الولايات المتحدة والصين وأوروبا، بالتزامن مع تعزيز مؤسسات مجلس التعاون الخليجي، وتوسيع نطاق التعاون العملي مع الشركاء الإقليميين، وتطوير صناعات دفاعية محلية، والحفاظ على قنوات للحوار مع الخصوم. وسيظل إحراز تقدم بشأن القضية الفلسطينية والأمن البحري وتدابير بناء الثقة مع إيران ركيزة أساسية لأي تسوية مستدامة.

وبشكل عام، تدعم الأدلة المستمدة من مؤسسات استراتيجية رائدة فكرة أن منطقة الخليج تنتقل من حالة الاعتماد على الغير نحو أجندة استراتيجية أكثر استقلالية وفاعلية. ومع ذلك، ينبغي النظر إلى هذا الانتقال باعتباره تطوراً تدريجياً وليس تحولاً مكتملاً وناجزاً. ولن يعتمد الاستقرار المستقبلي للمنطقة على استبدال الضمانات الأمنية الخارجية بقدر ما يعتمد على استكمالها بمؤسسات إقليمية ذات مصداقية، وقدرة على الصمود الاقتصادي، ودبلوماسية شاملة.

تقف منطقة الخليج عند مفترق طرق استراتيجي؛ فقد كشفت الصراعات الإقليمية الأخيرة عـــن محدودية النظام الأمني القائم في

---

* وزير خارجية أوزبكستان السابق، والأمين العام السابق لمنظمة شنغهاي للتعاون (SCO)، ونائب رئيس المجلس الاستشاري لمعهد (IFIMES)

** المقال يعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا تعكس رأي أو موقف المعهد أو "صوت الصعاليك"

تتمة ص التالية

معظمه على ضمانات خارجية، وسلطت الضوء في الوقت ذاته على الحاجة المتزايدة لإطار عمل إقليمي نابع من المنطقة نفسها، وقادر على منع الأزمات وإدارة النزاعات وتعزيز الاستقرار طويل الأمد.

وعليه، فإن ما تحتاجه منطقة الخليج ليس ترتيباً أمنياً آخر مصمماً من الخارج، بل عملية تتيح لدول المنطقة نفسها تطوير ممارسات وآليات ومؤسسات الأمن التعاوني بشكل تدريجي. تُتيح "عملية مسقط" المقترحة – التي تطرحها "مجموعة الأصدقاء" منذ شهر يونيو مستلهمةً نموذج "مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا" (CSCE) – فرصةً لإرساء حوار أمني متعدد الأطراف وشامل لمنطقتي الخليج وغرب آسيا، وذلك في حال تولت سلطنة عمان تيسير هذه العملية. وبدلاً من الحلول محل الشراكات الثنائية أو التحالفات العسكرية القائمة، ستعمل هذه المبادرة على استكمالها من خلال استحداث آليات دائمة للتشاور السياسي، وبناء الثقة، والتعاون العملي بين دول مجلس التعاون الخليجي والعراق وإيران، بل وتمتد لتشمل أطرافاً أخرى خارج هذا النطاق.

لا يتمثل الهدف في تسوية جميع النزاعات الإقليمية على الفور، بل في إضفاء الطابع المؤسسي على الحوار، والحد من انعدام الثقة الاستراتيجية، وتطوير هيكل أمني إقليمي تعاوني بشكل تدريجي.

تُعد تجربة "مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا" (CSCE) تجربةً غنية بالدروس، وتحديداً لأنها لم تبدأ بمعاهدة سلام أو تسوية شاملة؛ بل انطلقت من إدراك مفاده أن الحوار المستمر، والمبادئ المتفق عليها، وتدابير بناء الثقة، والتعاون العملي، يمكن أن تُحدث تحولاً تدريجياً في العلاقات بين دول تباعدت مصالحها السياسية والأمنية بشكل عميق.

وعليه، لم تكن العبرة المستخلصة من "اتفاقية هلسنكي" مقتصرة على النص الذي تم الاتفاق عليه عام 1975، بل في المسار الذي تلا ذلك. فقد أثبت المؤتمر أن الدول التي تفصل بينها هوة عميقة بسبب الأيديولوجيا والمصالح الأمنية والتنافس الجيوسياسي، يمكنها -رغم ذلك- البدء بالاتفاق على مبادئ وإجراء حوار منتظم وتدابير عملية لبناء الثقة، مما يتيح تطور إطار تعاوني أوسع نطاقاً بشكل تدريجي. وتكمن أهمية تلك التجربة بالنسبة لمنطقة الخليج تحديداً في هذه السمة التطورية؛ إذ لا يشترط أن يكون الهدف هو التوصل إلى تسوية شاملة منذ البداية، بل خلق مسار يمكن أن يجعل مثل هذه التسوية ممكنة في نهاية المطاف.

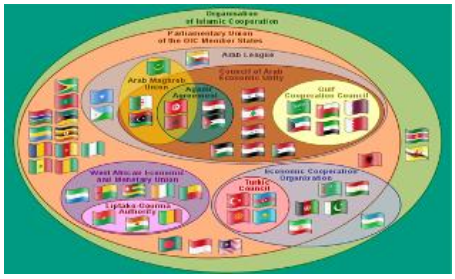

وثمة درس آخر مفاده أن عملية كهذه لا ينبغي بالضرورة أن تنتظر انتهاء الأعمال العدائية؛ بل على العكس من ذلك، غالباً ما تكتسب عملية الحوار قيمتها القصوى في الأوقات التي تكون فيها العلاقات في أصعب حالاتها. إن إنشاء قنوات اتصال وتدابير لبناء الثقة وتعاون عملي خلال فترات المواجهة يمكن أن يساعد في الحد من الحسابات الخاطئة وتهيئة الظروف اللازمة لخفض التصعيد. ولذلك، ينبغي النظر إلى "مسار مسقط" ليس بوصفه آلية لا تُفعَّل إلا بعد التوصل إلى تسوية سياسية، بل كأداة قادرة على المساهمة في تحقيق تلك التسوية.

ثانياً: أهمية "مسار مسقط"

على مدى أكثر من خمسة عقود، اعتمد أمن الخليج إلى حد كبير على قوى خارجية. ورغم أن هذا النموذج ساهم في الاستقرار الإقليمي، إلا أن التطورات الأخيرة أثبتت أن الضمانات الأمنية الخارجية وحدها لا تكفي لمنع التصعيد الإقليمي أو حماية المصالح الإقليمية من المنافسة الجيوسياسية الأوسع نطاقاً.

يواجه الخليج الآن فرصة تاريخية ليصبح صانعاً فاعلاً للأمن الإقليمي بدلاً من أن يكون مجرد مستهلك سلبي له.

وبالنسبة للدول الصغيرة والمتوسطة الحجم على وجه الخصوص، فإن المشاركة في تشكيل النظام الإقليمي تُعد بحد ذاتها مسألة أمنية؛ إذ إن الدول التي تغيب عن العملية التي يُصاغ من خلالها النظام الإقليمي تخاطر بأن تصبح مجرد موضوعات خاضعة لهذا النظام بدلاً من أن تكون شريكاً في صياغته. ومن ثم، فإن وجود مسار إقليمي دائم سيمنح الدول الصغيرة -ليس فقط صوتاً يُسمع في أوقات الأزمات- بل قدرة مستمرة على تشكيل القواعد والأعراف والترتيبات التي تؤثر على أمنها.

ستواصل القوى الكبرى السعي لتحقيق مصالحها من خلال المنافسة الاستراتيجية، والردع، وفترات من الانفراج الانتقائي. ومع ذلك، تمتلك الدول الصغيرة والمتوسطة أداة مختلفة من أدوات فن إدارة الدولة -إذا ما استُخدمت في الوقت المناسب- وهي: بناء المؤسسات.

إن تأثير هذه الدول يتجاوز بكثير مجرد ثقلها العسكري؛ إذ يمكن أن ينبع هذا التأثير من أدوار مثل الدعوة للاجتماعات، والوساطة، ووضع القواعد، وتعزيز الروابط، وإنشاء مؤسسات تجد القوى الكبرى مصلحة لها أيضاً في الحفاظ على استقرارها. ويُعد هذا النمط من فن إدارة الدولة ملائماً بشكل خاص لمنطقة لا تستطيع فيها أي قوة منفردة فرض نظام أمني دائم.

من شأن "مسار مسقط" أن يوفر عدة مزايا استراتيجية، منها:

تأسيس منصة إقليمية دائمة للحوار بين الأطراف الخليجية الفاعلة الرئيسية؛

استحداث آليات منظمة للوقاية من الأزمات وخفض حدة الصراعات؛

تعزيز الملكية الإقليمية للأمن مع التكامل في الوقت ذاته مع الشراكات الدولية القائمة؛

الحد من مخاطر سوء التقدير العسكري من خلال الشفافية وتدابير بناء الثقة؛ و

المساهمة في تهيئة بيئة مستقرة للتنمية الاقتصادية، وأمن الطاقة، والتجارة الدولية.

ومن خلال الحفاظ على حوار مستمر في فترات الاستقرار والأزمات على حد سواء، سيساعد هذا المسار في تحويل الدبلوماسية المتقطعة (المرتبطة بأحداث معينة) إلى آلية دائمة للتعاون الإقليمي.

لماذا عُمان؟

تتمتع سلطنة عُمان بمكانة فريدة تتيح لها تيسير مثل هذه المبادرة. فقد أكسبتها سياستها الراسخة القائمة على الحياد، وعلاقاتها الإقليمية المتوازنة، وسجلها المُثبت في مجال الوساطة،

يتبع العدد القادم

غزة تتضور جوعا.. لتتوقف جرائم الإبادة الجماعية

" قطاع غزة يتضور جوعا. لا توجد قطرة واحدة من حليب الثدي لـ 186 طفلاً يولدون كل يوم. 90% من أطفال غزة يتناولون وجبة واحدة أو أقل من وجبة واحدة في اليوم. لا يوجد تخدير ولا مستشفيات يمكن للأمهات الحوامل المستضعفات الولادة فيها لأن مستشفى الولادة قد دمر... "

فِلسْطين... غَزَّة تحْظيْن بِهَدف التَّضامن السِّينمائيّ اَلأُممي

يوثّق الفيلم - الذي تبلغ مدته 80 دقيقة- استخدام إسرائيل لأنظمة تعتمد على الذكاء الاصطناعي لارتكاب "عمليات قتل جماعي مُخطط لها" بحق الفلسطينيين في غزة، وذلك وفقاً للملخص الرسمي الصادر عن مهرجان البندقية السينمائي. وقد قوبل الفيلم الوثائقي بتصفيق حار استمر 25 دقيقة أثناء عرضه الأول في المهرجان.

يتضمن الفيلم شهادات لأفراد من الجيش وأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية تحدثوا مع شريطة عدم الكشف عن هوياتهم؛ حيث وصفوا نظاماً للذكاء الاصطناعي يُدعى "لافندر" (Lavender)، استُخدم لمراقبة الاتصالات بين الفلسطينيين في غزة وتحديد الأهداف لعمليات القتل.

وأعرب أبراهام عن أمله في أن يدفع فيلمه الوثائقي الحكومات الغربية إلى فرض عقوبات اقتصادية على إسرائيل.

وفي منشور له على منصة "إكس" يوم الأحد ١٣ سبتمبر، وصف زوهار الفيلم الوثائقي بأنه "حقير" واعتبر فوزه في المهرجان أمراً "صادماً". كما اتهم صانعي الفيلم بالإضرار بالبلاد "لمجرد نيل تصفيق المعادين للسامية حول العالم".

يذكر ان فيلم، "نازا" (NAZA) من إخراج صانعي الأفلام الإسرائيليين يوفال أبراهام وراشيل زور؛ وهما حائزان على جائزة الأوسكار عام 2025 عن فيلم "لا أرض أخرى" (No Other Land) - وهو فيلم وثائقي يتناول هجمات المستوطنين الإسرائيليين العنيفة في الضفة الغربية المحتلة، وأُنجز بالتعاون مع المخرجين الفلسطينيين باسل عدرا وحمدان بلال.

يُعد هذا الفيلم ثمرة تحقيق استمر قرابة ثلاث سنوات، ويستند إلى شهادات مصادر عسكرية واستخباراتية إسرائيلية تحدثت شريطة عدم الكشف عن هوياتها؛ إذ جرى تعديل أصواتهم وملامح وجوههم رقمياً، كما صُوِّروا ليلاً على أسطح المباني في تل أبيب.

وقال أبراهام لوكالة الأنباء الفرنسية (AFP): "نحن نتيح للجنود والضباط الحديث عما فعلوه". وأضاف: "كان الهدف بسيطاً للغاية؛ أردنا أن نعرف - بأكبر قدر ممكن من التفاصيل- كيف كانت تبدو آليات القتل في غزة وكيف كانت تعمل".

" حرب إسرائيل على غزة "... إلى أين تفضي؟ فلسطين... شهادة في وجه التعتيم الإعلامي

''تضامن أممي'' السينما تقف مع فلسطين و تنتصر لغزة

وزير إسرائيلي يهدد بسحب الجنسية من صناع فيلم بسبب فيلم عن غزة.

وصف وزير الثقافة للنظام العنصري فيلماً عن الإبادة الجماعية في غزة بأنه فيلم بغيض، منتقداً إياه بعد عرضه في مهرجان البندقية السينمائي.

[حضر المخرجان يوفال أبراهام وراشيل زور - الحاصلان على جائزة لجنة التحكيم الخاصة عن فيلم "نازا" (NAZA)- جلسة تصوير على السجادة الحمراء عقب حفل ختام الدورة الثالثة والثمانين لمهرجان البندقية السينمائي في "ليدو البندقية" يوم 12 سبتمبر2026]

فيما صرح وزير الثقافة الإسرائيلي، ميكي زوهار، بأنه سيعمل على سحب الجنسية من صانعـي الأفـلام يوفال أبراهام وراشيل زور،

يوفال أبراهام وراشيل زور / AFP

وذلك بعد فوز فيلمهما الوثائقي "نازا" (NAZA) - الذي يتناول الإبادة الجماعية التي ترتكبها إسرائيل في غزة - بجائزة لجنة التحكيم الخاصة في مهرجان البندقية السينمائي.

وقال الوزير إن تصرفات أبراهام وزور "تُعد خيانة للدولة". و"بصفتي وزيراً للثقافة، سأتحرك فوراً لسحب الجنسية الإسرائيلية من هؤلاء المبدعين الحقيرين بتهمة الخيانة ضد الدولة".

آراء حرة..

عن طارق بن زياد، ودعوة على العشاء!!...

حسن خضر*

فوجئ مستهلكو الأخبار في العالم العربي بما تطاير من كلام وصور عن مأدبة نظّمها رجل أعمال من لبنان، يدعى أنطون صحناوي، لبنيامين نتنياهو خلال زيارة الأخير لواشنطن في تموز الماضي. وكما مثّلنا للرأسمالية المتأخرة في معالجة سبقت بمحاولة الاستيلاء على جزيرة ألبانية، فإن «مأدبة العشاء» تصلح وسيلة إيضاح إضافية.

ينطوي الحدث على دلالات لا ينبغي تجاهلها. ففي مجرد نجاح شخص ما في تنظيم دعوة كهذه، في العاصمة الأميركية واشنطن، لشخصية من وزن نتنياهو (وهو ثقيل جداً في نظر النخبة الأميركية) وحشد ما تستدعي المناسبة من شخصيات معروفة في عالمي السياسة والبزنس، ما يدل على مكانته العالية في العالمين، أي البزنس والمال .

لأمر كهذا أهمية استثنائية، بالتأكيد، إذا وضعنا في الاعتبار أن منظّم الدعوة «أجنبي» ليس من النخبة الأميركية السائدة. لذا، في الإشهار، أي تحويل الدعوة إلى مادة للتداول في وسائل الإعلام، ما يضفي على أهمية ومكانة صاحبها العالية قيمة تسويقية أيضاً، ويفتح له أبواباً تستعصي على أمثاله في الأحوال العادية. وبهذا المعنى، لا تؤدي الدعوة وظيفة إعلانية وحسب، بل تُسهم في تعزيز العلاقة التفاعلية بين البزنس والسياسة، أيضاً. ولا ننسى تكريس تعددية الظاهرة الترامبية بوصفها خلاصة وتمثيلاً لمكونات عابرة للحدود والقوميات.

وبناء عليه، يمكن «تجليس» ما تكلمنا عنه، حتى الآن، في عدد من الحقائق «الصلبة». فصحناوي هذا عضو بارز في جماعة أصحاب المصارف اللبنانيين، التي يحقق القضاء اللبناني في مسؤولية كبارها عن كارثة اقتصادية حلت بلبنان، وهي أسوأ أزمات الانهيار المالي في العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. نهب هؤلاء قرابة 80 مليار دولار من أموال المودعين، ناهيك عن عشرات المليارات من المال العام.

يمكن للمهتمين العثور على تفاصيل كثيرة، في الصحافة اللبنانية، عن صحناوي وسيرته العائلية والشخصية، وأنشطته المالية والسياسية. ويمكن الاعتماد في هذا الشأن على تحليلات وتحقيقات تمتاز بمهنية عالية نشرها، ضمن آخرين، موقع درج اللبناني.

على أي حال، يكفي القول، إن صحناوي صاحب نفوذ واسع في الوسط السياسي اللبناني، يدين له بعض النواب بالولاء. يموّل فعاليات سياسية واقتصادية وثقافية، وتربطه علاقات قوية بصنّاع القرار في أجهزة الدولة اللبنانية. والأهم من هذا كله هو أوّل رجل أعمال، في العالم العربي، تتوفر لديه قناعات صهيونية قوية، ويشعر بالتزام عميق تجاه إسرائيل.

يمكن القول بطريقة مجازية، ومع تحويرات طفيفة، إن المذكور أحرق كل سفنه، وصار طارق بن زياد الفتوحات الإبراهيمية. وعلى الرغم من إمكانية إدراج هذا الإيحاء في باب المبالغات البلاغية، إلا أن إسهامه الكبير في حملة ترامب الانتخابية، وتمويله وترويجه لمشروعات «ثقافية» كالأفلام والكتب وحتى الأوبرا (موّل أوبرا عن ثيودور هرتسل) يبرر الإيحاء ويمنحه دلالات عملية، لذا:

ثمة ما يبرر تصنيفه كوسيلة إيضاح جيدة للإبراهيمية بوصفها مشروعاً من جناحين: البزنس، بما يعني من بناء قاعدة اقتصادية مشتركة مع إسرائيل، عقارات، وأمن، وخدمات. والشراكة الأيديولوجية، بما تعني من إعادة تفسير لتاريخ الصراع الفلسطيني والعربي - الإسرائيلي، و»تجريم» الفلسطينيين، وطرد المسألة الفلسطينية من الفضاء العام كشيء ينتمي إلى «خطاب الكراهية» و»العداء للسامية». الخ.

ونكتفي، هنا، أيضاً، بالكلام عن كتاب بعنوان «مرافعة عربية من أجل إسرائيل» أسهم المذكور، في ترويجه والدعاية له، هو وصاحبته الأميركية المشاركة في «تأليف» الكتاب، مورغان أورتاغوس (مبعوثة سابقة لترامب إلى الشرق الأوسط)، سيكون الكتاب موضوعاً لمعالجة نحلل فيها الرأسمالية المتأخرة بوصفها خطاباً في السياسة، عنوانه الرئيس «المصيبة» التي ألحقها الفلسطينيون بالشرق الأوسط.

كل ما في الأمر أن الكتاب (الذي أشعر بالندم لأنني تصفحته، وبددت عليه وقتاً لا يستحقه) يستعرض سيرة «فكرية» لشخص شارك أورتاغوس في «التأليف» يقول، إنه من أصل عراقي، نشأ في لبنان، ورضع «شيطنة» إسرائيل في حياة أولى، سرعان ما انقلبت رأساً على عقب، بعدما اكتشف «تاريخاً مغايراً» بدأت معه حياة جديدة تفتحت فيها عيناه على حقيقة إسرائيل، وصار من واجبه توثيق الحدث، وعرض المسوّغات التي أوصلته إلى الحقيقة، والتبشير بها (مع ملاحظة أنه يُبشّر بالإنكليزية) .

لا قيمة للكتاب، وللمشاركين في «تأليفه» إلا كوسائل إيضاح لأشياء أخرى. ولا بأس، هنا، من الكلام عن «اكتشاف» الحقيقة كقصة بدئية أولى Archetype لم يكف البشر عن إعادة إنتاجها على مدار قرون طويلة. وقد اختزلتها حادثة شاؤول، الذي أسقطه الضوء على الأرض، في طريقه إلى دمشق، حين ظهر له يسوع سائلاً: لماذا تكرهني؟ تغيّرت حياته، يومها، إلى الأبد، صار اسمه بطرس، اعتنق المسيحية وصار واحداً من أعظم مبشريها .

مهما يكن من أمر، تبقى مسألة أخيرة: قيل الكثير عن الانهيار المالي، وأزمات لبنان المالية المستعصية. ومع ذلك، يبدو أن تحليل الانهيار المالي، وسرقة أموال المودعين، والمال العام، على خلفية الصراع في لبنان، وعليه، بين الإيرانيين من ناحية، والأميركيين والإبراهيميين من ناحية ثانية، لم ينل ما يستحق من اهتمام. ومع كل تاريخ المسألة اللبنانية في البال، لا يبدو من قبيل المجازفة القول، ان لا معنى لكل ما يمكن تصنيفه بالحدث المحلي، في هذا البلد، إلا بوصفه تمثيلاً لحسابات خارجية في حرب طويلة، تدور في البلد وعليه. وتندرج في هذا المعنى، أيضاً، دعوة على العشاء.

---

* حسن خضر / كاتب فلسطيني

ملفات فكرية

» مئوية أبو گاطع.. شمران الياسري « السخرية في مواجهة غلاظ القلوب

(1)

د. عبد الحسين شعبان

تمرّ علينا هذه الأيام الذكرى المئوية لميلاد أبو گاطع "شمران الياسري"(مواليد العام 1926)، حسب ما جاء في وثائقه الشخصية، ويصادف هذا الشهر في 17 آب/أغسطس، الذكرى الـ 45 لرحيله (1981)، حين كان متوجّهًا من براغ إلى بودابست لزيارة نجله الأكبر جبران، حيث اصطدمت سيارته في الطريق بشجرة، وكان الجو حينها ماطرًا، وعلى أثرها فارق الحياة.

كنتُ على موعد مع أبو گاطع في براغ، حيث اتفقنا على أن يكون نهاية شهر آب/أغسطس من ذلك العام، لكن القدر اللئيم كان أسرع منّا، فقد قام باختطافه وهو في أوج عطائه، وكنتُ يومها في الشام، وقد خيّم عليّ حزن شديد، وبقيت أعيد قراءة رسائله، وكتبت بعض الخواطر السريعة عنه، وللأسف فقدت ذلك بعد التحاقي بمهمات إعلامية وثقافية في "قوات الأنصار".

تعرّفت على أبو گاطع قبل أن ألتقيه، وذلك من برنامجه الإذاعي الشهير "احجيه بصراحة يبو گاطع"، والذي كان يوجهه إلى الفلاحين من إذاعة بغداد، لكنه أصبح برنامجًا شعبيًا انشغل به عموم المعنيين بالشأن العام، بمن فيهم المثقفين، وسبق لي أن أشرت أنه أصبح بارومترًا يقيس به الناس درجة حرارة الوضع السياسي، كما أصبح عموده الصحفي في جريدة "طريق الشعب" الناطقة بلسان الحزب الشيوعي العراقي (قبل إيقافه في أواسط السبعينيات) أحد المجسّات الأساسية لمعرفة المناخ السياسي والعلاقة بالسلطة، ولذلك كان القرّاء يبدأون بقراءة "طريق الشعب" من الصفحة الأخيرة، حيث ينتصب عمود أبو گاطع. التقيت أبو گاطع لأول مرّة وبدأت بيننا صحبة سريعة في العام 1969، وكان ذلك في مقر مجلة "الثقافة الجديدة"، وتوثّقت العلاقة لاحقًا، وبُعيد إعلان بيان 11 آذار/مارس الخاص بالقضية الكردية بين الحكومة العراقية وقيادة الثورة الكردية، كـان موعد لقاء الوفد الجماهيري للتهنئة بالمناسبة في مقر المجلة، وحين عرف أبو گاطع بمهمتنا شعر بشيء من الفضول، وانتحاني جانبًا ليسألني. وكنا قد اجتمعنا ونحن نحمل عرائض تؤيد صدور البيان بعد أن غيّرنا صيغتها من الدعوة إلى الاتفاق والتفاهم والحل السلمي (كان النص كُتب قبل التوصل إلى اتفاق) إلى دعم التوجه الإيجابي لحل القضية الكردية، وبالتأكيد على قيام جبهة وطنية موحدة، وقد ضمّ الوفد كل من لؤي أبو التمن وأحمد الحكيم ومحمد النهر وكاتب السطور، وتوجهنا إلى وكالة الأنباء العراقية وجريدة "الثورة" وجريدة "الجمهورية" وجريدة "بغداد أوبزرفير" ومحطة الإذاعة والتلفزيون (بعد عدّة أسابيع اعتُقل أحمد الحكيم ولؤي أبو التمّن وعُذّبا في قصر النهاية الذائع الصيت)، وهو ما رويته في محاضرات لي عن أبو گاطع في لندن وبرلين ولوند (السويد)، وفي الشام وبغداد وأماكن عديدة (لاحقًا)، كما جئت على ذكره في مقابلات ولقاءات صحفية عديدة، خصوصًا ما صاحب تلك الزيارات الثقيلة وغير المرغوب فيها، حتى وإن كانت للتهنئة بمناسبة صدور بيان 11 آذار/مارس من جانب مؤسسات الدولة الرسمية.

بعد يومين أو ثلاثة أيام اتّصل بي أبو گاطع والتقينا وأراد أن يسمع مني ما حصل بالتفصيل، فرويت له ما حدث في تلك الزيارات، فاللقاءات كانت جافة والاستقبالات خشنة والوجوه غير منشرحة، وأتذكّر تعليقه "إجتك يا بو گاطع". وبالفعل اتّسعت الحملة واضطررنا إلى التفرّق. هو اتجه إلى الريف، وأنا وجدت طريقي إلى المنفى بعد اختفاء لنحو

4 أشهر واتّجهت للدراسة، وبعد العام 1972 وقبل صدور رباعيته التي عكست عالمه السحري الدرامي المطعّم باللهجة الشعبية العراقية، عادت المراسلات بيننا، خصوصًا بعد انفراج الوضع السياسي نسبيًا وصدور ميثاق العمل الوطني (أواخر العام 1971).

وكم كنت أترقّب صدور الرباعية: الزناد، بلا بوش دنيا، غنم الشيوخ، وفلوس حميد، وحين صدرت كنتُ في مدينة براغ وأرسلها لي مع رسالة طريفة "عليك بالدينار عدًّا ونقدًا والدين ممنوع والعتب مرفوع"، لأن الجهات الرسمية لم تساعد في طبعها، فطبعها على حسابه الخاص، وقيل إنها بيعت قبل طبعها، وكان ذلك دليل شعبية أبو گاطع الذي أصرّ على أن يُصبح روائيًا، خصوصًا مخزونه الهائل من حكايات الريف المثيرة، فضلًا عن حسّه الشعبي وقاموسه اللغوي وأسلوبه الصحافي المميّز، ولا سيّما "حجته" اللّاذعة التي كان يرسلها طازجة على لسان "خلف الدوّاح" راويته وذاكرته ومحاوره، وهو شخصية حقيقية نشرت صورته لأول مرّة في العام 1998.

كان حزني مضاعفًا؛ لعدم اللقاء بأبو گاطع بعد فراق دام نحو أربع سنوات، وكان قد عاش معي وفي شقتي أعوام (1976 – 1977)، وقبل عودتي إلى العراق، وتركت شقتي له بعد مغادرتي؛ وثانيًا لأنني كنت أمنّي النفس للقاء به، وإذا به يرحل على نحو مفاجئ حين كان القدر الغاشم له بالمرصاد فازدادت وحشتي، حيث كان لديّ الكثير ممّا أرويه له وأستمع إليه وأرتوي من حكاياته وأقصوصاته. ودائمًا ما كنت أردّد خسرنا مبدعًا كبيرًا لا يعوّض، ولولاه لبقيَ جزء غير قليل من تاريخ الدولة العراقية في الريف لم يُدوّن.

---

* كاتب ومفكر

تتمة ص التالية

كنتُ أشعر أنه أصبح الصديق الأقرب والأجمل إلى القلب والعقل، خصوصًا وقد عشت معه معاناته التي رويتها في كتابي الذي صدر في العام 1998 في لندن، والموسوم " أبو گاطع – على ضفاف السخرية الحزينة"، وبقيت خلال السنوات المنصرمة أؤنس وحشتي بزيارة قبره في بيروت، حيث دفن في مقبرة الشهداء الفلسطينيين في شاتيلا، وكنتُ في إحدى المرات قد اصطحبت معي الصديق اللبناني الفنان عمران القيسي لزيارة ضريحه هناك. ***

في أوروبا الشرقية بعد مناقشة أطروحة الدكتوراه في أواسط السبعينيات إستدعت أجهزة الدولة أبو گاطع بتهمة أنه تاجر أسلحة، ولذلك اضطرّ إلى مغادرة العراق، وبعد جهد جهيد أقنع "الجماعة" بأن يسافر على مسؤوليته الشخصية، وكان الرفيق عبد الرزاق الصافي قد اصطحبه معه لتسوية الأمر وبقيَ في بغداد نحو شهرين، ثم غادر العراق، وظلّ يردّد "أنا أوّل لاجئ غير سياسي"، واختار يوم 13 أيلول/سبتمبر 1977 لوصوله لأنه كان يعرف موعد دفاعي عن أطروحة الدكتوراه، ولم يُبلغ أحدًا، فوصلت الطائرة صباحًا واستقلّ سيارة أجرة إلى شقّتي ووضع حقائبه وهداياه، ثم توجّه إلى قاعة كليّة الحقوق وكان لديه التفاصيل مني عبر التلفون، وحين خرجت من القاعة بانتظار قرار اللجنة، وجدته واقفًا بانتظاري في باب القاعة التي وصلها لتوّه، واحتفلنا سويّةً، والصورة المنشورة كانت في المطعم الروسي قرب الساحة القديمة، وكان قد كتب في "طريق الشعب" عن أطروحتي مع نشر صورتي، وحاول أن يثنيني عن قرار العودة بسبب تدهور الأوضاع، ولكن الشعار الذي كنا نرفعه في حينها هو "التفوّق العلمي والعودة إلى الوطن".

في العام 1987، وحين كنت رئيسًا لتحرير جريدة "المنبر"، أصدرنا ملفًا عنه، شارك فيه الشاعر شاكر السماوي والشاعر جمعة الحلفي والكاتب عبد الباقي شنان والكاتب كاظم الموسوي والكاتب حميد الياسري وكاتب السطور، ولقي الملف اهتمامًا كبيرًا في حينها.

وبمناسبه الذكرى المئوية لميلاده، طلب مني عدد من الأصدقاء إصدار طبعة ثالثة لكتابي "على ضفاف السخرية الحزينة"، حيث كانت الطبعة الأولى عن دار الكتاب العربي 1998 (لندن) قد نفذت، وكذلك الطبعة الثانية عن دار الفارابي 2017 (بيروت)، فقلت لـــحين إصدار طبعة ثالثة أعيد نشر دراسة مطوّلة عن أبو گاطع بعنوان "فن الضحك والسخرية والأسئلة الملغومة"، وهي منشورة في كتابي الجديد الذي صدر عن "دار النهار" (2026) بعنوان "هسهسات الضوء في أنطولوجيا الثقافة العراقية".

أملي أن تكون هذه المادة حافزًا جديدًا لقراءة أبو گاطع وفنّه وسردياته وأقصوصاته وروایاته وأسلوبه الصحافي الساخر، ولعلّها سخرية هي الأكثر حزنًا، خصوصًا حين تتصدّى لغلاظ القلوب، وحسب المتنبي العظيم أنه ضحك كالبكاء. ***

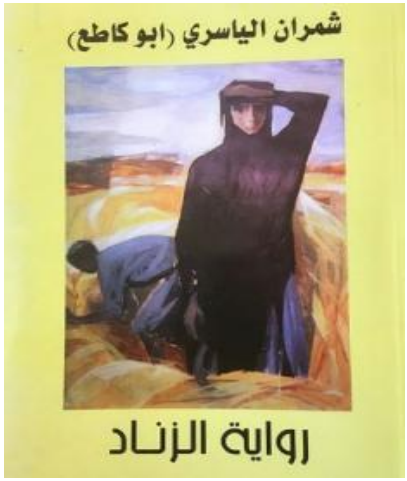

فنّ الضّحك والسّخرية والأسئلة الملغومة [1]

حين صدر كتابي عن أبي گاطع (شمران الياسري) والموسوم على ضفاف السّخرية الحزينة[2] أواخر التسعينيّات في لندن، كان قد مضى على رحيل الصحافيّ والروائيّ السّاخر أكثر من عقد ونصف من الزّمن. ولعلّ الكثير من جيل الثمانينيّات والتسعينيّات، وخصوصًا خارج العراق لم يكن قد قرأ أو ربّما سمع عن أبي گاطع، ناهيك عن التعرّف على نتاجه الإبداعيّ، ولا سيّما عموده الصحافيّ الذائع الصّيت "بصراحة" أو أعماله الروائيّة متمثّلة بـ"الرباعيّة": "الزناد" و"بلابوش دنيا" و"غنم الشيوخ" و"فلوس حميّد" أو روايته "قضيّة حمزة الخلف"، على الرغم من أنّها طُبعت في بيروت بعد وفاته.

أمّا برنامجه الإذاعيّ الشهير "احجيه بصراحة يبو گاطع"، والموجّه حينها إلى الفلّاحين بعد ثورة 14 تمّوز/يوليو العام 1958، فـــكاد أن يُنسى على الرغم من أنّه كان مثار اهتمام أوساط واسعة في الريف والمدينة، لكنّه مضى زمن عليه فنساه الكثيرون، كما لم يسمع به ممن جاء بعدهم.

شيءٌ واحدٌ ظلّ عالقًا بأذهان الناس، بل ذهب مثلًا أحيانًا يردّده من يعرف "أبو گاطع" أو لا يعرفه، ألا وهو عنوان برنامجه الشهير، حين كانت الأفواه والألسن تردّده كلّما أرادوا من محدثهم الإفصاح عن الحقيقة، أو كلّما اضطرّوا إلى مطالبته بالصراحة والوضوح.

أقول ذلك لأنَّ "أبو گاطع" أصبح محظورًا ومحرّمًا منذ أواسط السبعينيّات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لأنَّ الرجل غادرنا قبل الأوان إلى الغربة "كلاجئ غير سياسيّ" على حدّ تعبيره العام 1976، ومن ثمّ تُوفّي باكرًا في براغ في 17 آب/أغسطس من العام 1981.

دائرة الضوء إذا كنتُ لا أخال أنَّ أحدًا ممّن أدركهم الوعي، وشغلهم الاهتمام بالحرف من جيل الخمسينيّات، وخصوصًا بعد الثورة لم يسمع بـ"أبو گاطع" وبرنامجه الإذاعي، ولا سيّما ما كان يناقشه من مشكلات وإشكالات وقضايا، تمثّل هموم الريف العراقيّ بشكل خاصّ، وهموم المجتمع وتطلّعاته بشكل عامّ، لدرجة أنَّه كان حديث المجالس أحيانًا، لكنْ مرور عدّة عقود من الزمن كانت كفيلة بأنْ يطوي النسيان صور الماضي، في ظلّ مشاغل جديدة وأعباء كثيرة، فما بالك إذا كانت تلك السنون مليئة بالأحداث والانقلابات ،والحروب الدراماتيكيّة، والصراعات السياسيّة والحصار والهجرة.

ولذلك كانت مسؤوليّة التصدّي للتعريف بفنّ وأدب "أبو گاطع" وعموده الصحافي وبرنامجه الإذاعيّ وروايته المملّحة بالسّخرية الحزينة "فرض عين وليس فرض كفاية" – كما يُقال – والهدف الأساسي إبقاؤه في دائرة الضوء وعدم جعل النسيان يتسلّل إلى تراثه وحروفه وكلماته، فقد تمكّن "أبو گاطع" من حرفته، مستخدمًا أدواته على نحو بارع، مستوعبًا الدور المنوط بالمثقّف وما ينتظر منه، مستقطبًا جمهورًا واسعًا من خلال نقده الساخر الممزوج بالألم، والذي كان يعبّر خلاله عن المعاناة الفائقة، والزيف الطافح، وأجواء اللّامبالاة في المحيط الاجتماعيّ.

يتبع في العدد القادم

هوامش

في المنفى... حيث الكلمات تتلعثم من وجع الوطن

عصام الياسري

أن تكون مثقفًا عراقيًا في المهجر... يعني أن تعيش على هامش وطنك، وهامش وطنٍ آخر لا يشبهك.

أن تكتب بلغةٍ تفهمك، في بلدٍ لا يقرؤك. أن تُحاكم ذاكرتك كل يوم، لأنك لا تنتمي تمامًا إلى هناك، ولا يُسمح لك بالانتماء الكامل إلى هنا.

الغربة ليست مكانًا فقط، إنها حالة وجود. والمنفى لا ينفيك من الأرض فقط، بل من اللغة، من العادات، من الموسيقى ومن خبز التنور وابتسامة غريب يلاقيك وأخت تحضنك بدفء ورائحة التراب عندما يسقط المطر. صوت البائع ينشد عرض منتوجه من الخضار وسائق الأجرة "يعلي" صوت الراديو يسمع بلبل الريف حضيري أبو عزيز..ووو

في المنافي البعيدة، يسير المثقف العراقي حاملاً حقيبة أثقل من العمر، مليئة بكتب لم تُقرأ بعد، ومخطوطات كتبتها أصابع مرتجفة في عتمات الخوف. ترك خلفه أرصفة اعتاد الجلوس عليها ليقرأ، مقاهي كان يناقش فيها حلم وطنٍ حر، ووجوهًا كثيرة خاف عليها من أن تُحسب عليه.

في الوطن، كانت كلماته تُراقب، أفكاره تُحاسب، وصوته يُقصى. فاختار الرحيل، لا حبًا بالغربة، بل فرارًا من وطنٍ صار فيه الحرف جريمة، والقصيدة تهمة. خرج يحمل وطنه في قلبه، لكن الوطن لم يسمح له أن يرتاح. كل سطر يكتبه هناك، يُبلل بالحنين، وكل قصيدة ينشرها، يُفقده جزءًا من روحه.

في المنافي، صار المثقف العراقي رسول وجع، وضمير وطنٍ مكسور. يقيم معارض كتب لا يحضرها إلا قلة، يُلقي محاضرات لا تُبث، ويكتب مقالات تنشر في زوايا بعيدة، لكنها تصرخ بما لا يجرؤ على قوله من بقي.

هو هناك، جسدًا، لكنه هنا، صوتًا، ووجعًا، وذكرى. يبحث عن وطنٍ لا يعتق المثقفين، ولا ينفيهم، وطنٍ لا يرى في الفكر خطرًا، ولا في السؤال خيانة.

ليس كل من غادر العراق كان يبحث عن فرصة أفضل. بعضهم غادر لأن الوطن ضاق به، لا لأنه ضاق بالوطن. المثقفون الحقيقيون... الكُتاب، الفنانون، الإعلاميون، أولئك الذين رفعوا صوتهم بوجه الظلم، لا لأنهم لا يحبون وطنهم، بل لأنهم يحبونه أكثر مما يجب.

هؤلاء لم يحملوا حقائب سفر، بل حملوا جراحا، ومخاوف، وملفات ثقيلة من التهديدات والملاحقات.
لم يختاروا الغربة، بل اختارتهم المنفى ملجأً أخيرا، بعد أن أصبح الوطن مكانا يُخنق فيه.

الصوت، وتُكسر فيه الأقلام، وتُحاصر فيه الفكرة.

في المهجر، لم يكونوا لاجئين فقط، بل أصبحوا غرباء بين لغتين، ومنفيين بين هويتين، تائهين بين ذكرى الوطن وواقع المنفى. بعضهم يكتب ليبقى، وبعضهم يصمت كي لا ينكسر أكثر. يحملون وجع العراق في قلوبهم، يكتبونه بكل اللغات، يرسمونه على الجدران، يغنون له في مسارح صغيرة لا يسمعهم فيها أحد، لكنهم لا يتوقفون.

في المنافي، يعيش المثقف العراقي حياة مزدوجة: نهارا، يعيش يومه في مدن، تعامله كغريب حتى لو أقام فيها عشرين سنة. ليلًا، يعود إلى بغداد في الحلم، إلى مدينته التي أحب، إلى شارع المتنبي، إلى نهر دجلة، يعود ليبكي بصمت.

المنفى لم يُطفئهم، بل زادهم ألمًا ونضوجًا. صاروا شهودًا على وجع شعب، لا يكتبون فقط تاريخهم، بل يكتبون تاريخ وطن نُفي أبناؤه الأوفى.

الأخلاق السياسية بين المسؤولية التاريخية والموضوعية

تُعد الأخلاق السياسية أحد المكوّنات الجوهرية في بناء الشرعية والفاعلية داخل النظم السياسية، حيث تمثل الإطار المعياري الذي يحدد كيفية استخدام السلطة وتحقيق الصالح العام. من الناحية التاريخية، تكشف التجارب الإنسانية أن الدول التي غابت عنها القيم الأخلاقية في ممارسة الحكم تعرضت لانهيارات سياسية واجتماعية واقتصادية، إذ يؤدي الاستبداد والفساد إلى تفكك الثقة بين الدولة والمجتمع، ما يفتح المجال للاضطرابات والاضمحلال المؤسسي. ولذلك ، فـإن الالتزام بالأخـلاق السياسيـــة يـــمثل مسؤولية تاريخية تتطلب استيعاب الدروس المتراكمة عبر العصور، خاصة ما يتعلق بدور العدالة وتوزيع السلطة وضمان الحرية والمساواة.

أما من الناحية الموضوعية، فإن الأخلاق السياسية ليست مجرد منظومة مثالية، بل هي ضرورة عملية لصيانة تماسك المجتمع وتنظيم العلاقات بين الأفراد والدولة. فالمسؤولية الأخلاقية في صنع القرار السياسي تؤدي إلى ترشيد استخدام السلطة وتوجيهها نحو تحقيق المصلحة العامة عوضاً عن المصالح الشخصية أو الفئوية. كما تساهم الأخلاق السياسية في تعزيز الشفافية، واحترام القانون، والمحاسبة، وهي عناصر أساسية لضمان فعالية المؤسسات السياسية واستدامتها. وبذلك، فإن الأخلاق في السياسة ليست بعداً تجميلياً، بل إطاراً معرفياً وعملياً يحكم السلوك السياسي ويضمن له الاستمرارية والتوازن.

لذن، الأخلاق السياسية ليست خطاباً مثالياً أو ترفاً نظرياً، بل هي ضرورة تاريخية وموضوعية لضمان بقاء واستقرار الدولة. ومن هنا، فإن بناء منظومة سياسية فعّالة يتطلب ترسيخ الأخلاق كجزء لا يتجزأ من الثقافة السياسية للمجتمع ومؤسساته. وتحتل الأخلاق السياسية موقعاً محورياً في بناء الدول واستقرارها.

شعر

«سفر القمح في رشاقة السنابل»

عبدالله نوري الياس

أنا الغناء كله
في سفر المطر
أنا الشجن في صوت
الفراشات
أنا شهيد القصيدة
في حدائق الأسئلة
أنا قنديل التجلى
في أجنحة الله
وأنا الملح
في شفاه الحلوات
أنا الطفل
في لهيب الأقدار
أنا زبد البحر حين
يهيج بالتواريخ
والأمواج والأصناف
أنا المحروم
من قداسة الوطن
أنا قوس قزح ...
يتدلى ليمضي بالجراح
أنا الورد أسماءه
في الطرقات والحدائق
وانا الطريق
في أعتناق الخلود
أنا عربة التجوال
في نبوءة الأخطاء
وأنا الخطأ
في جماجم الطغاة
أنا سر ولادتي
بذروة الجواب
وأنا الجواب
في حرية الأفواه
أنا الشتاء عواصفه

حين ترتفع
في صورة العناقيد
انا الثائر في وجه الباطل
حين يظلله الظلم بزنجاره
أنا الليمون في كؤوس الفاكهة
أنا عسل الشعر
حين تشتهيه الفصول
أنا الجندي
الذي حمل طين البلاد
ونثره قربانا
على سهاد القصائد
أنا الفانوس معلقا فتيله
وسط الجماجم والرؤوس
أنا لهاث الياسمين
الذي ما استطاعت
أن تجرفه الفيضانات
أنا الطبشور
في أصابع التلاميذ
وأنا التلميذ الوحيد
في رشاقة الحياة
أنا الصداقة الضاربة
في أول ولادة للخلق
أنا المرايا
أشطف حكأة الندوب
في الوجوه المريضة
أنا السلام في أمعاء الحروب
وانا الموصلي في ترتيب النواقيس
وانا القربان في ترانيم الصلاة
أنا رغيف الخبز
في الشموس القصية
أنا الرصيف
الذي عرف جرائم اللصوص
أنا الفخار
الذي عجن وجوه الألهة
أنا الأقطاب كلها
حين يخيم الشعر
على الأفواه
أنا الحب في نشوة البيضاوات
أنا ... حيث يكون الصفاء والوهج
أنا معطف السنونوات

في الشتاءات
أنا أسطورة الوجع
في التكوين
وانا التكوين في حضارة
الآباء والابناء والأحفاد
أنا أول سلالة
خيمت على الريح والصمت
وانا الصمت في رشاقة الورد
أنا المفازة لا تتعب
من كوابيس الحروب
أنا يد الله
في سجايا القلوب
أنا الحكاية كلها
في تجاعيد الجدات
وكعكاتهن . وعيونهن
وصدورهن وحندقوقاتهن
أنا الحليب المزهر
لأثداء البرتقالات
أنا قواميس الأبجدية
منذ سومر وأشور وأكد
أنا سقف الذاكرة
في جسد الروزنامات
أنا الدمع والجوع والحبر
حين تختال الاكليل
كيف يكون وجه البلاد
حين تموت القرابين
على المذابح
في دموع العذراوات
ورحيل المنافي
في المنافي .

....؟..... ..

آراء فكرية

مسائل للنقاش:
« شغلني موضوع دايالكتيك »

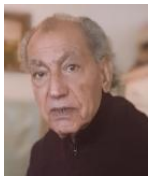

د.عدنان الظاهر

ديالكتيك 1

لديَّ سؤال كبير وخطير لكنه قد يبدو ساذجاً رغم كبَّ ذلك وهو : ما رايكم فيمن يقول أنْ لا وجودَ حقيقياً كونيّاً للزمان إنما هو وهم إخترعه الإنسان القديم في سومر وبابل ومصر الفرعونية لتنظيم شؤونه الحياتية ومحاولة فهم ما يجري حوله من تبدّلات مناخية وفلكية منها الخسوف والكسوف والليل والنهار والشمس والقمر والمطر وأزمنة هطوله ثم صحته وطعامه ومرضه. المكان ، مادة الكون، موجود لا نقاشَ في ذلك نولد فيه ونعيش فيه ونموت فيه ... نراه ، نلمسه ... وكذلك الفضاء بهواء ومن غير هواء (أي فراغ) تشغله النجوم والكواكب والشموس والمجرّات التي لا عدَّ لها والثقوب السود وما سيكتشف الإنسان من نجوم ومجرّات وعوالم أخرى لا عهدَ لنا بها اليوم. كل شئ يتحرك وكل شئ في الوجود ما دام يتحرك يتغيّر كما تعلمون. يعترضُ صديق على هذا الكلام قائلاً : وما القول في عمر الإنسان نقول فلاناً عاش مائة عام وفلاناً عاش عشرين عاماً فقط ؟ أحسبُ أنَّ الجواب هو : لا علاقةَ لعمر الإنسان بشئ إسمه زمان ! يعيش الإنسان ويموت من غير زمان ! نحن اخترعنا الدقائقَ والساعات والأيام والشهور والسنين نقيس بها أوقاتنا وننظم بها أمورنا الحياتية وقد ربط الإنسان القديم بعبقرية فذّة بين حركات الأرض والشمس خاصة وتنظيم وضبط الظاهرة التي أسماها {زمن}.. دوران الأرض حول نفسها ودورانها حول الشمس فعرف اليوم والشهر والسنة. أجل ... هناك الحركة وهي مبدأ كل شئ في الكون وقد ربط القدامى والمحدثون (حتى آينشتاين) بين الحركة والزمان فقالوا إنَّ الزمنَ هو مقياس الحركة ! أي لا زمنَ بدون حركة .. لا ينفصلُ عنها ولا علاقة له بالمكان ! هذا هو منطق أصحاب مقولة الزمان وسرمديته وموضوعيته وارتباطه بالمكان! المكان ـ الكون ـ يتحرك بمعزل عـــن شيء إسمه زمان [لا يحتاج زماناً يرافقه أو يحركه] إنما تحرّكهُ قوى التجاذب والتنافر الكونية العظمى فلنتجه ونركّز على الحركة من حركة الكون بمجموعه حتى حركة الألكترون حول نواة الذرّة. تحياتي وتقديري عزيزي بروفسور علي محمد اليوسف... كشفتُ لحضرتك اليوم بعضَ همومي الفكرية لا الفلسفية فإني ضد الفلسفة ولا أمنتُ بها يوماً في حياتي .. أنا مع العلم فلقد فات زمن الفلسفات وحلَّ العلم مكانها.

دايالكتك 2

أفرحني ردّك وبيانك وآزر مواقفي من وهم الزمان ثمَّ إني أُكبِرُ فيكم علمكم وتواضعكم وسموّ خلقكم ... إني كذلك أتابع ما يكتب أستاذنا الجليل حاتم حميد محسن من أبحاث فلسفية قيّمة وقد سبق وأنْ علّقتُ على واحدة من مقالاته فتفضّل بردٍ وافٍ شافٍ. في رأيي المتواضع أنَّ أطروحة آينشتاين (الزمكان) باطلة وسُيثبت العلماء بطلانها بل وسخفها عاجلاً أو آجلاً. لا علاقة للمكان بوهم الزمان .. المكان قائم وموجود سرمدياً أبدياً فكيف يتصل بوحدة (جدلية) بوهم إسمه الزمان ليكوّنا بعداً رابعاً هو (الزمكان) ؟ الحركة هي كل الكون وأصل الكون وجوهره وقانون تطوره حتى بلغ هذا التطور حدَّ انفصال جزء منه، من الكون المادي غير العضوي، وتحوّله إلى جزء عضوي حيّ ربما بشكل حجيرة واحدة كالبكتريا مثلاً تكاثرت بقوة وزخم إرادة التطور الكونية بوسيلة بدائية بالإنقسام على نفسها فتكاثرت وتراكمت كميّاً حتى وصل هذا الكمُ إلى مستوى عالٍ حصلت فيه القفزة النوعية أو التحول النوعي ممّا أدرى إلى ظهور كائن حي أكثر تطوراً فيه خلايا متخصصة وهكذا وعبر مليارات السنين تكاثرت التراكمات الكمية في الخلايا والأعضاء وحصلت التغيّرات النوعية المتدرّجة وتحت ظروف معينة من رطوبة وماء وحرارة وضوء وتربة مناسبة فظهرت النباتات فالحيوانات الدنيا وهكذا وصل الأمر إلى الإنسان الحالي. لا مفرَّ ولا مُناص من هذا المسلسل الكوني الجبّار : الكون موجود ـ الكون يتحرّك ـ الكون المتحرك يتغيّر فيتطور ـ ينتج عن هذا التطوّر إرادة جديدة متصلة لا منقطعة عن مجمل العمليات السابقة فهذه القوة الموجودة المتحركة والمتطورة أبداً تفرض أو تخلق واقعاً جديداً مغايراً وبمساعدة ظروف معينة فينفصل بعضٌ من هذا الكون المادي غير العضوي لينبثق عالم جديد عضوي يتنفس ويتغذى ويتحرك بقوته الذاتية. ما علاقة وهم الزمان بكل هذه التطورات وهل يستطيع إيقافها أو تسريعها أو تغيير مساراتها وسياقاتها ؟ لا الحركة دالّة زمانية ولا المكان (المادة). كيف تكون الساعة عندي في المانيا هي العاشرة ليلاً بينما هي الرابعة عصراً في نيويورك أو اليابان وأيُّ زمنٍ منهما هو الصحيح ؟ ونحن في المانيا نقدّم ساعاتنا ونؤخّرها ساعة واحدة مرتين في العام فأي زمن هو الصحيح ذاك الذي سبق التغيير أو الذي تأخّرَ عنه ؟ إنه الوهم الخادع وإنه صنيعة البشر العبقري الذي عرف كيف ينظم حياته منذ آلاف السنين. أصاب الإنسانُ في خلقه زمناً أخضعه لتمشية أموره الحياتية (أي استعبدهُ) لكنه أخطأ وأجرم في خلقهِ أصناماً عبدها.

دايالكتيك 3

أغبطكَ أنّك قادرٌ على تحريك حتى الجماد ! وعليه فإني اليوم ومرةً أُخرى أُحرّكُ نفسي تحت تأثير قدراتك على التحريك..

وددتُ أن أضيف بعض المعلومات توضيحاً لبعض ما ورد في مقالكم القيّم لهذا اليوم مع أملي في أني سأستطيع كتابة مقال وافٍ مبنياً على البعض الآخر الذي ورد في مبحثكم لهذا اليوم .

1 ـ قال أنجلز : كل كشف علمي جديد هو إثراء وتعزيز لقوانين الديالكتيك. قوانين الديالكتيك الثلاثة هي في صلب العلم وليست خارجة عنه.

2 ـ لهيجل الفضل الأكبر في صوغ قوانين الديالكتيك بالشكل الذي نعرف اليوم. له وحده قصبُ السبق لكنه وضعها مقلوبة على رأسها حسب تعبير ماركس فصحح هذا وضع هذه القوانين بأنْ قلبها وجعلها واقفةً على أقدامها .. حسب تعبيرات ماركس نفسه .

3ـ قرأت كتاباً لأحد الكتّاب كرّس الكثير من صفحاته في محاولات عقيمة مُضحكة لإثبات تهافت وعدم صحة قانون التراكم الكمي والتحول النوعي مُتخِذاً من ظاهرة تحول

تتمة ص التالية

البوصلة التي توجه طريقة استخدام السلطة

عبر التاريخ، كشفت الحضارات والدول الكبرى أن العدالة ليست مجرد قيمة معنوية، بل قاعدة وجود. فالحضارة اليونانية والرومانية بلغت قمّة نفوذها ثم انحدرت حين تفشى الفساد وضعفت الأخلاق في ممارسة الحكم. وفي التجربة الإسلامية، ارتبطت قوة الدولة وازدهارها بقيم الشورى والمحاسبة واحترام الإنسان، بينما أدت صراعات النفوذ وإهمال مبادئ العدالة إلى تفككها لاحقاً. هذا يؤكد أن الأخلاق السياسية ليست خياراً تجميلياً، بل هي مسؤولية تاريخية حملتها الأمم عبر قرون التجربة والخطأ.

أما في واقعنا المعاصر ـ وتحيدا المشهد العراقي ـ فالأخلاق السياسية ليست فكرة مثالية بعيدة عن الواقع كما قد يظن البعض، بل هي ضرورة موضوعية لضمان تماسك الدولة وإدارة مواردها بكفاءة. فالقرار السياسي الذي لا يستند إلى قواعد أخلاقية واضحة يصبح قابلاً للانحراف نحو خدمة المصالح الشخصية أو الفئوية، وهو ما يؤدي إلى تراجع الثقة العامة، وارتفاع مستويات الاحتقان الاجتماعي، وتآكل هيبة القانون.

إن الشفافية والمحاسبة واحترام القانون وتكافؤ الفرص ليست شعارات، بل آليات عملية لحماية الدولة من الانزلاق. إن نظام الحكم الذي يضع المواطن في موقع المتابع والمشارك، لا المتفرج، هو وحده القادر على بناء شرعية راسخة، لأن الشرعية لا تُستمد فقط من النصوص الدستورية، بل من رصيد الثقة المتبادلة بين المجتمع ومؤسساته.

اليوم، ومع التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم، يصبح الحديث عن الأخلاق السياسية ضرورة لا يمكن تأجيلها. فكل دولة تتطلع إلى مستقبل مستقر لا بد أن تعيد الاعتبار للقيم التي تمنح السلطة معناها الإنساني، وتُخضع القوة لمعيار المصلحة العامة، لا لمزاج الحاكم أو نفوذ الفئات المتنفذة.

إن بناء ثقافة سياسية أخلاقية يبدأ من التعليم والإعلام وخطاب النخب، لكنه يتجذر من خلال التطبيق الفعلي في مؤسسات الحكم. فحين يرى المواطن القانون مطبقاً على الجميع، والمال العام مصاناً، والقرارات تصدر لخدمة الناس لا لخدمة أصحاب السلطة، عندها فقط تستقيم السياسة ويستقر المجتمع.

مسائل للنقاش: « شغلني موضوع دايالكتيك »

الماء إلى بخار مثلاً ... قائلاً هذا القانون خطأ لأنَّ البخار يعود متحولاً بالتكاثف إلى ماء ! أقول لهذا الأستاذ : حتى هنا في رجوع بخار الماء إلى نوعية فيزيائية مغايرة هو تطبيق حرفي لقانون التراكم والتحول كيف ؟ يتم تحول بخار الماء إلى ماء بتراكم إنخفاض كمية الحرارة في جزيئات البخار التدريجي حتى بلوغ درجة التحول فينقلب البخار سائلاً هو الماء المعروف. التراكم نزولاً هو كالتراكم صعوداً.

4ـ الصوت هو موجات غير مادية لا تحمل شحنات كهربائية ولا أقطاب مغناطيسية وكذلك الضوء [الفوتونات الضوئية] إنما هي مادة موجيّة .. دقائق مادية متموّجة الطبيعة وعليه فلا علاقة للصوت بقوانين الديالكتيك أما الضوء فشأنه شأنٌ آخر : إنه يخضع لقانون التراكم والتحول كيف ؟ بتجميع الفوتونات الضوئية في ظرف تكنولوجي خاص إلى حد يجعلها قادرة على القيام بإختراق وحرق الأجسام الأخرى بقوة أشعة الليزر الفائقة. هذا مثال حديث يُدّعم ويعزز صحة قانون التراكم والتحول. وكذلك تأثير اشعة الشمس المباشرة علينا فإذا عرّضنا أجسادنا لأشعة الشمس فستتراكم الأشعة فوق البنفسجية خاصة في حجيرات جلودنا حتى نحس فجأة بلسعة حرق في هذه الجلود. وهذا هو أساس بؤر العدسات الجامعة لأشعة الشمس وكيف تحرق جلودنا إذا وجّهنا الرأس المدبب للعدسة صوب أجسادنا : التركم يؤدي إلى التحول النوعي. كذلك حياة الإنسان نفسه وكيف يتطور ويتحول بالتراكم من مجرد بويضة أنثوية وحيمن ذكري إلى طفل كامل الأعضاء بعد تسعة أشهر ومن ثم ينمو ويتطور بالتراكم الحياتي وليس بكرّ الأيام والسنين. وكذلك تحول البذرة إلى شجرة مورقة مُزهرة مُثمرة. لديَّ الكثير من الأمثلة لكني أكتفي اليوم بما قدّمتُ من أمثلة.

دايالكتيك 4

سلامٌ على العزيز النائي وتحايا

أفلمْ اقلْ أنك ساحر تحرّك الجماد ؟ ها قد حرّكتني وأيقظتني من سباتي المفروض عليَّ . أجيب على فقراتك الخمس باقتضاب كما فعل حضرتكم :

1 ـ لم ولا ولن أؤمن يوماً بدايالكتيك هيجل المثالي المقلوب.

2 ـ الكون كله ومنذ الأزل حتى الأبد عملية دايالكتيكية متصلة مستمرّة .

3 ـ لم أمس موضوع المادية التأريخية فذلكم موضوع آخر معقّد ومتشعب ولعلي أكتب فيه ذات يوم.

4 ـ نعم، كل كشف علمي هو تأكيد وتعضيد وإثراء للدايالكتيك الماركسي ولقد ضربت مثلاً من أشعة الليزر وأضيف التركيب الذري نفسه قبل الليزر قائم على قانون [وحدة وصراع الأضداد] فبقاء الذرة (وحدة الكون) قائم على قوتي التجاذب والتنافر بين نواة الذرة الموجبة بما فيها من بروتونات تحمل شحنات موجبة والألكترونات السالبة الشحنة الدائرة حول هذه النواة. ينجذب الألكترون السالب نحو النواة الموجبة الشحنات حتى يصل إلى مسافة معينة يكتسب فيها شحنة موجبة بتأثير القوة الموجبة الأقوى للنواة ويحصل التنافر بين موجبين فيبتعد الألكترون عن النواة وما أنْ يبتعد حتى يستعيد شحنته السالبة فينجذب مرة أخرى للنواة وتتكرر هذه العملية ما دام الكون موجوداً .أليس هذا دايالكتيك؟ كذلك الأمر بالنسبة لعلاقة الأرض بالشمس وبقائها دائرةً حولها إلى ما لا علم لأحد ولكن حسب أي قانون ؟ التجاذب والتنافر الجدلي { }.ولكن مع تعقيدات وإضافات سببها أنّ تجاذب وتنافر الشمس والأرض عملية مزدوجة فهي كهرو ـ مغناطيسية أي تحصل بقوتي التجاذب والتنافر الكهربائيتين وقوتي تجاذب وتنافر القطبين المغناطيسيين الشمالي والجنوبي وقانون التجاذب والتنافر هو قانون نيوتن الميكانيكي العلمي كما نعلم.

5 ـ مرةً أخرى .. لم أتكلم عن قوانين المادية التأريخية ولا عن مراحلها الخمس حسب التصنيف الماركسي ولا عن صراع الطبقات ولا عن القوى المحرّكة والمغيّرة للتأريخ فتلك موضوعات أخُر لها مقامها الخاص ومقالها الخاص يا عزيزي. تحياتي وشكري وسلامي مع سروري بالحديث معكم وبإخراجي من (غيابة الجُبِّ) العميقة التي أنا فيها بفعل ظروف قاهرة .

تقاسيم شعرية

» قَصَائِدُ... مِنْ ذَاكَ اَلْمَكَان اَلْبَعِيدِ «

ايفان علي عثمان

باباراتزي ...

اليوم
تاج
لعبة المراسلة
باباراتزي
الصورة المتعجلة
لـ ميرزا
السر المجنح
لـ عضلة اللاكتمال
مساخيط
آلة العبور
الى الانتظار العنيد
المكان المتعدد الخردوات
لـ الجيمرز

سيسو ...

هنا
ملاحات بوليوشكا بولي
هنا
مارشات كاتيوشا
هنا
أماليد كالينكا
هنا
فوالق سفيشنايا فاينا
هنا
الـ سيسو
هنا
الـ بابايكا
هنا
الـ كابتشا
هناك
اليوم

الى أمي السلافية ...

1
بين شبه مقلوب ممحو
والأشد احتراقا
ينطلق كالمنعكس
عبر الشفاف
2
صاف
مكسوا
بالمعلق
يحتضن الدرب المتفتح
3
وسط منعطف
أقواس حصوية
سطوع غائر
يتقاسمني
مع المشية الكأسية
4
وشمت
صوت طرف الكأس
أعماقي
مناديل شعلة
تلهم
المنحوتتين
5
سنوشح
ما يتبلور
سيطلع
عمقها
ستتشابك
الصورتان
من موج ومض

متسلقا تلألأ ...

1
عقدك
لن تغير حركتها
ترفض البحث عن سؤالك
اسحب كأسك
من اوراق الصوت
واستعد للاشتعال
2
يجعلك تتعرق
انظر الى طريقة رسمه للضوء
يشكل زبدا
يلتصق بالجزء الكامل
3
انظر الى ما شيدته
يمكنه فتح الابواب
بظل ثقيل
فوقه
ظل
تحته
صورة
4
لأكون قريبا بما يكفي
لامتلاكها
لألمس ضرباتها
عندما يسكبها في المفكك
محاولة لتهيئة محاولة
5
لإعادة المحفور على آثار الجاري
سأندمج مع ألمي
لنتعملق ونقهقه
6
كنت مشرط المحتمل
الان
يفلت خياله قرب إبرة الصامت
بين المنتصبين

يدحرج معلقا ...

1
لن أكون التالي
صانع مكانس
أو
سلك عريان
لأسياخه
2
نصفه
يتلاشى من
حرب الرسوم
عندما أمشي على رؤوس أصابعي
يتموج
وينسى
3
غادر الغرفة
وسقط على الظل
سيهدمها
بعد
ترميم رزم الوراء
4
شق الصورة
بالصوت
ليحولها
لحجرة بطوابق
5
السلالم
بين الخاليتين
رأيت متاهته تفتت
وصوله
6
يحتفل بزحفها
شوكة برأس فراغ
تلقي
أسنانها
7
رفعها
ثم
دفعها
أحياز جزئه
8
من داخل الحريق
أغرق قناعها
ليطحن فتحات الجمر
9
ممحوين ومتلاش
طوى
هلاوسه
بجمرة

* شاعر وكاتب

إضاءات

تصنيف بودلير يتجاوز أثر الاجيال بالتعريف

د. إشبيليا الجبوري

ت: من الفرنسية أكد الجبوري

مهمة المقالة:

ـ هل بودلير يتجاوز الاجيال بالتعريف. حقًا؟ بل

ـ هل يُصنف بودلير: كلاسيكي أم رومانسي. أم معًا؟ وكيف؟

أولًا.

في خضم البحث والجدل حول منجز الشاعر والكاتب الفرنسي شارل بودلير (1821-1867)(). ثمة إشكالية أو ظاهرة مثيرة للأهتمام. تدور حولها. بالسؤال الإشكالي: هل كان بودلير، الرومانسي الذي حوّل الرومانسية إلى حداثة؟ بحسب ما أسماه الناقد الأدبي والكاتب الإنجليزي سيريل كونولي (1903-1974)() "الحركة الحداثية"()، في حين تُعد شخصيةً بودلير مناقضةً تمامًا: فهو كلاسيكي.

يُعد التعريف الذي صاغه الشاعر والكاتب الفرنسي بول فاليري (1871-1945)() - وهو أن الكلاسيكي كاتب يحمل في داخله ناقدًا، ويربط هذا الناقد ارتباطًا وثيقًا بعمله - يمكن اقتراح تعريف آخر، دون أن ينفي التعريف السابق، بل يُحدّثه: الكلاسيكي كاتب يمكننا أن نعرفه جيدًا دون أن نقرأ صفحةً واحدةً مما كتب.

لأنّ قائمة مؤلفات بودلير تكفي لملء المكتبات، ولكلّ ذوق بودلير؛ فسواءً أكان الذوق فكريًا أم جماليًا أم ميتافيزيقيًا، لا يوجد موقفٌ أو مدرسةٌ أو طائفةٌ تخلو من صورة بودلير قادرٍ على تلبية جميع متطلباتها().

لكنّ بودلير يُعدّ كلاسيكيًا لأنه يتجاوز آراء الأجيال اللاحقة، ومكافآتها، وعقوباتها: فعمله متسقٌ لدرجة أنه صمد أمام قرنٍ من التعليقات دون أن يمسه سوء، ويبدو جديدًا ومنعشًا لكلّ قارئ().

بودلير، معاصرنا. هذا الاكتشاف اللفظي لجان كوت يجد الكلمات المناسبة هنا؛ تكمن أهميته في كتبه، وفي البيانات المرتبطة بها - المخدرات، والرقابة، والتمرد - نجد صدىً وانعكاسًا للعديد من المواضيع التي تُهيمن على نقاشاتنا اليوم().

يقول سيريل كونولي إن الحركة الحديثة بدأت كثورة ضد البرجوازية في فرنسا، والعصر الفيكتوري في إنجلترا، والنزعة التطهيرية والمادية في أمريكا الشمالية. كانت الروح الحديثة مزيجًا من سمات فكرية معينة موروثة من عصر التنوير: السخرية، والوضوح، والشك، والفضول الفكري، والشغف الجارف، والحساسية المرهفة للرومانسيين، وتمردهم، وحسهم بالتجريب التقني، وإدراكهم لعيشهم في عصر مأساوي.

كان الجيل الحاسم، الجيل الذي وفّق بين المتناقضات، هو جيل بودلير، وفلوبير، ودوستويفسكي (مواليد 1821)()، وويتمان، وميلفيل، وروسكين (1819)()، وإدموند دي غونكور، وماثيو أرنولد (1822)()، والذين يمكننا أن نضيف إليهم، لإكمال الصورة، رينان (1823)()، وتورغينيف (1818)()، وكوربيه (1819)(). يمتلك هؤلاء الفنانون جميعًا شيئًا يمتد إلى عصرنا، رغم أن الكثير مما أبدعوه ينتمي إلى الماضي؛ ويصعب تصنيفهم وتحليلهم جميعًا لأن ازدواجية طبيعتهم هي ثمرة ذكاء نقدي وحساسية متلهفة للاستكشاف والبحث في ذاتها.

إن هذا الاستكشاف لأعمق عوالم الوجود والحياة - وهو مسعى جليّ لدى شعراء عصرنا العظام، من الشاعر والكاتب المسرحي الفرنسي أبولينير (1880-1918)() إلى الشاعر والكاتب البلجيكي الفرنسي هنري ميشو (1899-1984)()، وهو أيضًا من رواد عالم المخدرات، و"المعرفة عبر الهاوية"() - هو تحديدًا إحدى الصفات التي استندت إليها ندوة نيس الأخيرة، حيث تصادمت النظرة النقدية التقليدية والحديثة، في ترسيخ أهمية بودلير الدائمة.

كما ذُكر سابقًا، ثمة طرق عديدة "لعدم فهم" بودلير، الكاتب الذي، كغيره من الكُتّاب المعاصرين، لا يتطلب، بل يُلزم القارئ، لا مجرد استقبال سلبي، بل بتواطؤ فعّال. ومن بين محاولات إساءة فهم بودلير، لم يلقَ أي منها صدىً واسعًا كمحاولة سارتر، مع أن سارتر في هذا المجال يُنافس أسلافًا لامعين مثل تولستوي وأبولينير نفسه.

في مقالته عن دعوة بودلير () - وهي دعوة تُعادل حرية اختيار الإنسان لنفسه، وتتطابق تمامًا مع ما نسميه القدر - عرّفه الفيلسوف والكاتب المسرحي الفرنسي سارتر (1905-1980)() بأنه الإنسان الذي تحجّرته نظرات الآخرين، الإنسان الذي اختار أن يرى نفسه كأنه شخص آخر، وحياته ليست سوى تاريخ هذا الفشل (لكن هذا الرفض، إن صحّ التعبير، ألا يُمكن لسارتر أن يُعمّمه ليشمل جميع الشخصيات الفنية والفكرية العظيمة في القرن الماضي؟). فشل من طلب حريته ليكون قوياً بما يكفي ليدعي أن الصورة التي يكوّنها الآخرون عنه هي من صنعه؛ فشل من يدعي أنه حر، أي أنه حر بلا مبرر في استقلاله، وأن يكون مكرساً؛ مما يعني أن المجتمع يفرض عليه وظيفته وحتى طبيعته.

في النصف الأول من القرن الماضي، أدرك الفنان ماهيته كفنان، وشعر بالعزلة عن العالم، وحدد عدوه: البرجوازية. ولوصف هذه الانتفاضة ضد النظام العقلاني، وضد الوضعية وإيمانها بالتقدم غير المحدود، استخدم كونولي (1938-2026)() الكلمة المناسبة: ثورة. إنها اضطراب داخل النظام نفسه، وليست محاولة جذرية لهدمه واستبداله بنظام جديد. وهنا يكمن جوهر خلاف سارتر مع بودلير (وبالتالي مع ورثته): فالمتمرد نقيض الثوري. يريد الثوري تغيير العالم، وتجاوزه نحو المستقبل، نحو عالم من القيم التي يبتكرها؛ أما المتمرد فيُبقي على الظلم الذي يُعانيه ليتمرد عليه... لا يريد التدمير أو التجاوز، بل يريد ببساطة الانتفاضة ضد النظام. وكلما ازداد هجومه عليه، ازداد احترامه له بشكلٍ مبهم...

(هذا التحليل، بحدةٍ مُبهرة وأسلوبٍ باهرٍ يُقارب الاستعراض، أصبح، على نحوٍ مُفارق، على مر السنين، نقدًا ذاتيًا "مُظلمًا" من سارتر نفسه، نقدًا ذاتيًا يكون فيه الحدس شكلًا من أشكال الندم.)()

لم يكتب سارتر نقدًا أدبيًا، لكن نقده، كأي محاولة لهدم أسطورة، إن لم ينجح في تدميرها، فإنه في الواقع يُعززها. علاوة على ذلك، تتجلى حدود مقالته بوضوح لا يُضاهى في كتاب حديث يُعدّ من أجمل وأروع مؤلفات الشاعر والدبلوماسي المكسيكي أوكتافيو باث (1914-1998):()

"كان رد بودلير على نقد سارتر هو قصائده. أين الحقيقة؟ في رسائله ووثائقه الشخصية الأخرى أم في أعماله؟ مرة أخرى: هذان عالمان مختلفان. هل يحررنا هذا الشعر، النابع من سوء النية والنرجسية المازوخية لمتلصص، يرى في عُري المرأة مرآة تُختزله إلى انعكاس، فتنقذه بذلك من نظرات الآخرين، أم يُقيدنا؟ هل يكذب علينا أم يُخبرنا بشيء جوهري عن الإنسان ولغته؟ كل عمل فني عظيم يُجبرنا على التساؤل عن ماهية اللغة. هذا السؤال يُشكك في المعاني، في عالم القناعات الذي يُغذي الإنسان التاريخي، حتى يظهر الآخر. مع أن سارتر طرح على نفسه هذا السؤال، إلا أنه لا يعتقد أن الشعر هو من يطرحه ويجيب عنه؛ بل يرى أن الشاعر يُحوّل الكلمات إلى أشياء." لكن الأشياء، حين تلمسها يد الإنسان، تُصبح ذات معنى، فتتحول إلى سؤال أو جواب. جميع الأعمال البشرية لغات. لا يُحوّل الشاعر الكلمة إلى شيء مادي، بل يُعيد إلى العلامة تعدد دلالاتها، ويُجبر القارئ على إكمال عمله. القصيدة إعادة خلق دائمة. بالتأكيد، لم يكن هدف سارتر الحكم على الشعر، بل كشف حقيقة الشاعر، ووضع حد لأسطورته. كان

تتمة ص التالية

الهدف نبيلًا، لا النتيجة. فمن جهة، لا يُوضح تحليل المشروع المعنى الحقيقي للعمل؛ ومن جهة أخرى، بدون قصائده، تُصبح حياة بودلير غير مفهومة. لا أعني أن عمله يُفسر حياته، بل أقول إنه جزء منها: فبدون قصائده، لن يكون بودلير هو بودلير. تكمن مفارقة العلاقة بين الحياة والعمل في كونهما واقعين مُتكاملين بمعنى واحد فقط: يُمكننا قراءة قصائد بودلير دون معرفة أي تفاصيل عن سيرته؛ ولا يُمكننا دراسة حياته إذا تجاهلنا ذلك. كان مؤلف كتاب "أزهار الشر()."

ثالثًا

في ضوء العديد من المنشورات الصادرة بمناسبة هذه الذكرى المئوية، يتضح لنا جليًا مفهوم "الواقع المتكامل" الذي أشار إليه أوكتافيو باث. فقد نُشرت خمس وتسعون رسالة لم تُنشر من قبل من شبابه في المجلد الأول من المجلدات الثلاثة لـ"الأعمال الكاملة" ()، بينما نُشر مجلد آخر من مراسلات غير معروفة مع عائلته ()، إلى جانب كتاب في النقد النفسي () ترجمه المترجم الفرنسي شارل مورون (1899-1966).()

وُلد بودلير لأمٍّ في السابعة والعشرين من عمرها وأبٍ في الثانية والسبعين، وعانى من وفاة والده في السادسة من عمره، وزواج والدته من القائد ثم الجنرال أوبيك (1789-1857)() في السابعة من عمره - وهو زواج لطالما اعتبره خيانةً وفعلًا من انعدام الحب - وفي الحادية عشرة من عمره، أُودع في تلك المؤسسة البشعة، المدرسة الداخلية حيث كان من المفترض أن "يصبح رجلًا.()"

ظلت مخاوف الطفولة من الانفصال والرفض تطارده طوال حياته، محكوماً عليه بالعيش في عذاب خوف مزدوج: رعب من قبح الحياة اليومية، وخوف من الفشل فيما كان محاولته للخلاص والانتقام: الشعر، والنقد، باختصار، الكتابة.

في السابعة عشرة من عمره، يؤكد في رسالة هذه الصعوبة الرهيبة في الحياة: "أزداد ارتعاشاً كلما اقتربت لحظة ترك المدرسة ودخول الحياة"(). وعندما كان قد ألف بالفعل "أزهار الشر"، غلبه نفس انعدام الأمان، ونفس الشعور بالفشل، وقال لأمه: "من بين كل هذه المشاريع المتراكمة في ملفين أو ثلاثة لا أجرؤ على فتحها، أيها سأنفذ؟ ربما لن أفعل شيئاً على الإطلاق. لقد عاودني المرض بالخمول والرعب والخوف()"...

مرتبطاً بأمه بتعلق عاطفي لم يجرؤ على كسره قط، من أجلها وضدها كتب بودلير أحد أروع أعمال الشعر في العالم. قدّم الملابس كشكل من أشكال التمرد والخضوع والرفض (ومن المثير للاهتمام أن تنكر الداندي استُلهم من رسم يصور غوته بزي بروميل)()؛ وسعى إلى التحرر من "طغيان الوجه البشري"() من خلال إيجاد "جنات اصطناعية" في المخدرات، لأن جميع المخدرات هي ""دواء مضاد للحزن" أو "جرعة للنسيان"()، أي وصفة النسيان: نسيان المعاناة الإنسانية، والتوق إلى اللانهائي، والهروب، ولو لبضع ساعات فقط، من العالم السفلي، الذي أطلق عليه "مسكننا في الوحل()."

...كان بودلير، في آنٍ واحد، مُفسِّرًا ومُجسِّدًا لمأساته، مأساة رجلٍ مُحطَّم إلى الأبد، عاجزٍ عن ترميم نفسه، مُحبًّا لمدام أوبيك وضدها. لقد جسَّد في شعره جمال الرعب، وجاذبية ميدوسا، والشيطانية، وفوق كل ذلك، قذارة المدينة العظيمة - عاصمة ليست دولةً فحسب، بل عاصمة القرن التاسع عشر بأكمله - التي رآها، من أعالي مونمارتر، بكل اتساعها، كمطهرٍ وجحيمٍ وبيت دعارةٍ ومستشفى وسجن().

مُحبًّا لمدام أوبيك وضدها - الأمّ التي تُشبه ميدوسا، الأمّ الغورغونية التي تُحَجِّر إلى الأبد كل من تراه - كتب بودلير بعضًا من أجمل وأفظع قصائد الحب في الأدب؛ هو، العاجز عن حب أي امرأة، حتى أن سفاح القربى الذي لطالما خافه لم يتحقق حتى في خياله. هو الذي، رغبةً منه في تدنيس صورة أمه والحفاظ عليها نقية، لم يجد سوى جان دوفال، وهي امرأة من أصل مختلط، مصدرًا للبهجة والرفقة. امرأة من أصل مختلط، تُعتبر، في نظر العنصرية الواعية أو غير الواعية للطبقة البرجوازية الفرنسية العليا، مجرد شيء، لا إنسانًا، فضلًا عن كونها امرأة.

(قلّةٌ قليلةٌ من نقاده الفرنسيين ذوي النزعة الأبوية الدائمة يفلتون من هذه العنصرية، إذ يُبدون شفقتهم باستمرار على الشاعر العظيم لاضطراره للعيش مع امرأة سوداء "منحرفة وجاهلة" لم تفهم قصائده قط؛ تمامًا كما لم تفهمها مدام أوبيك والغالبية العظمى من معاصريه، الذين وشى به عمليًا للسلطات بتهمة "الإساءة إلى الآداب العامة". فقط عندما كاد يأسه الذي لا يُطاق أن يتحول إلى صمت وشلل، وجد بودلير العزاء الذي لم يعد كافيًا: مدح وإعجاب شابين، شاعرين في العشرين من عمرهما يُدعيان فيرلين ومالارميه.)()

كل هذا البؤس دفعه إلى دمج أربعة مفاهيم في حياته وعمله، وهي مفاهيم تُهيمن على الفكر والأدب المعاصرين، والتي يُلخصها كلود روي على النحو التالي: اليقين بأن فشل الإنسان الحقيقي أهم من انتصار تمثال من الرخام أو قناع من البرونز؛ فكرة أن الشعر ليس نقيضًا للذكاء النقدي والفلسفي؛ مفهوم الحداثة؛ وأخيراً، الخوارق التي ستتطور لاحقاً إلى السريالية وكل انعكاساتها ولمحاتها.

رابعًا

خارج نطاق الثقافة الفرنسية و"نطاق نفوذها" المتميز، أمريكا اللاتينية، قلّما نجد نصوصًا عن بودلير مثل مقال والتر بنيامين، الذي تُرجم مؤخرًا إلى الإسبانية، والذي يُرسّخ بوضوح ودقة أهمية شارل بودلير .().

"أزهار الشر" هو آخر ديوان شعري حقق نجاحًا جماهيريًا واسعًا. انبثق هذا الديوان من تجربة قاسية ومُذهلة في عصر الصناعة الجماهيرية: صدمة مواجهة الحشود الحضرية الهائلة، والجموع غير المتجانسة التي تجوب الشوارع().

وضع بودلير تجربة الصدمة في صميم مسعاه الفني. وكما هو الحال مع كل من واجهها وجهًا لوجه، أثارت حشود المدن الكبرى فيه مشاعر القلق والاشمئزاز والخوف. (إنّ الجماهير متأصلةٌ في فكر بودلير لدرجة أن البحث عن أعماله يُقابل بالفشل.

إنّ الصدمة التي يشعر بها المارّة وسط حشود المدينة تُشابه صدمة العامل في خدمة الآلات. لم يكن لدى بودلير أيّ مفهومٍ عن عملية العمل الصناعي. ومع ذلك، فإنّ فكرة البدء من جديد دائمًا هي جوهر اللعب، وكذلك العمل المأجور (ويمكننا أن نضيف، في عام 1967()، جوهر جميع الحركات الفنية المعاصرة)(). يرفض اللعب أوامر التجربة. بودلير، على الرغم من أنه لا يشارك فيها، هو أيضًا رجلٌ مُجرّدٌ من تجربته: رجلٌ حديث. تُرسّخ "المراسلات" مفهومًا للتجربة يحتفظ بالعناصر الثقافية ويسعى إلى ترسيخ نفسه تحت حماية كلّ أزمة؛ وهو أمرٌ لا يُمكن تحقيقه إلا في سياق الثقافة. عندما تُغادر التجربة سياق الثقافة، فإنّها تتخذ مظهر الجمال. وفي الجمال، تتجلّى القيمة الثقافية للفن.

من خلال الأشياء والملابس القديمة التي تظهر في قصائده، يُقدّم بودلير تحيةً لما لا يُنسى. يمنح "المثال" قوة الذاكرة، بينما يعارضه "الكآبة" بجحافل الثواني: فهو إمبراطور الثواني، كما أن الشيطان سيد الذباب. تكشف "الكآبة" عن التجربة المعيشة في عريها الكامل. يرى الكئيب الأرض الساقطة في حالتها الطبيعية العارية برعب. لا يحيط بها أي أثر لما قبل التاريخ، ولا هالة().

ينقلب بودلير على الجموع، ويفعل ذلك بغضب عاجز كمن يقذف نفسه في وجه الريح أو المطر. هنا تكمن "التجربة المعيشة" التي منحها بودلير وزنها الحقيقي كتجربة. لقد بيّن الثمن الذي يُدفع مقابل إحساس الحداثة: تلاشي الهالة من خلال "تجربة" الصدمة.

"أزهار الشر" هو آخر عمل شعري غنائي لاقى صدى أوروبيًا؛ لم يتجاوز أي عمل لاحق حدود دائرة لغوية محدودة نوعًا ما. يُضاف إلى ذلك أن بودلير قد صبّ تقريبًا كل ما لديه لقد وظّف طاقته الإبداعية في هذا الكتاب. ولا يمكن إنكار أن بعض مواضيعه تُشكك في إمكانية وجود الشعر الغنائي نفسه.

سرديات

بيت الأحلام ولوحات مروان الرسام...

مراد سليمان علو

إن كنت ساذجاً، فهذه مشكلتك وحدك. ليست مشكلتي، ولا مشكلة الأمم المتحدة؛ إنها مشكلتك، لأنك بدلاً من تقديم النصائح للثعلب وتعليمه خدعاً وحِيَلاً جديدة، تسمع طوال الوقت حِيَله القديمة، وتمارس حِيَله المستهلكة للإيقاع ببني جلدتك.

والمثير للسخرية أن صديقنا الثعلب، في هذا الوقت الطيب الذي تقضيه معه، يفكر بطريقة يخدعك بها مثل الآخرين. على العموم، إنها نتائج سذاجتك، والمضحك في الأمر أنك دائماً ستكون بحاجة إلى قزم مغامر، مثل (نيلز)، يخلصك من ورطتك وينقذك.

طبعاً تفكر بالانتحار، وستنتحر؛ فأنت تشعر بضيق المكان وتحاول مساعدتنا بفسح المجال، وما تقدر على فعله من أجلنا هو الانتحار.

لن ألومك على فعلتك، وسيأتي دورك لتنال وساماً أو درعاً مثل الآخرين. لا بأس يا صديقي، فقد تربينا معاً على الشعور بالذنب.

كانت اليهود في أمان الرب، مطمئنة في بيوتها ومتيقنة بأنها ستدخل الفردوس من أوسع أبوابه، فذهبنا إليهم متبخترين، وأسرناهم جميعاً وجلبناهم إلى بابل ليخدمونا، مما اضطر جبريل إلى تغيير مسار هبوطه ليسلم أوامر القسم الثاني إلى النبي عزرا في بابل.

وبعد أن فعل بنا الفرس ما فعلناه باليهود وحرقوا بابل، بدأ العتاب بيننا وبين اليهود المساكين، وشعرنا بالذنب.

منذ الفرمان الأول، وكلما جاء فرمان، شعرنا بالذنب.

نسينا اليهود، وابتلينا بالالتفات إلى أنفسنا؛ لأن الفرمانات لا تتوقف، وكأنها بول شخص مصاب بالسكري.

وربما كـــــان الذنب عندنا مثل ذلك الضيف الثقيل الذي لا يحتاج إلى دعوة؛ يأتي وحده، يجلس في صدر المجلس، يأكل معنا، ويظل معنا حتى بعد أن ينصرف الجميع.

الآن، المطلوب فتح بعض الأبواب والدخول علناً. أنت عليك الالتزام بهراء القارئ، لألتزم بدوري بتفاهات الكاتب.

سأفضحك، وهذا هو هرائي، ولستَ ملزماً بقراءة فضائحك، وهذا هو هراؤك.
أول أنثى وآخر أنثى تدخل سوق المخيم الشعبي، تقول لها، إنك تدخلين السوق غزالة شاردة، ولا يليق بك هذا المكان، ولا يليق بك سماع كلمات السوق السوقية.

أنت ملتزم بكلماتك ككراس بيد الجنود لتعليم الصولات الليلية، وهذه الكلمات تبدو وكأنها تمهد الطريق لك لفعل شيء، وهي، بطبيعة الحال، وكما تعلم، مجرد أكاذيب.
الناس لم تعد تثق بالكلمات؛ فهي لا تجبر الخواطر هذه الأيام. ألا تخيفك سرد الحقائق قبل وقوعها؟
يوم أمس كنت في حفلة لأحد شيوخ عشائرنا، وقرأت لهم بصوت عالٍ قصيدة عن الملابس الداخلية الملوّنة، ففرح بها جداً، وبدأ يقدم لي قطعاً صغيرة من مخه بدلاً من مخ الذبيحة التي على طاولة الطعام، ويقول بفرح طفولي، شكراً لأنك أتنيت على طريقة تسريحة شعري.

عندما تكتب الشعر لمن هب ودب، سيأتي وقت لا تنسجم فيه مع عضوك التناسلي، وسيعدّ الناس شعرك مجرد كلمات، ولن يثقوا بذهابك إلى المريخ ضمن وفد لإيجاد علاج لسلاسة البول وإيجاد حل جذري للقضية التي تنفش ريشك من أجلها.

تأكد بأن المشروبات الغازية تضر بالصحة، وكذلك المشروبات الروحية والتبغ والقهوة والملح والسكر والدقيق الأبيض؛ لذا يثور الناشطون الشباب ويقولون بصوت عالٍ، على الحكومات وقف إنتاجها، فترسل لهم حكوماتهم خطاب تعيين براتب مجزٍ.

الإعلاميون يتخبطون في تفكيك الحكمة التي تقول:
"لا يمكنك أن تجعل الثعلب ذئباً.".

لا تحاول أن تعلم شخصاً كيف يكتب، فسيكتب بكل الأحوال. وستنشر كتاباته، وسينال الجوائز، وستشعر بالغرور لأنك علمته الكتابة؛ فلا تفعل،

لأن الكلمات لا قيمة لها. والجوائز لا قيمة لها. والمديح لا قيمة له.

فقط ذلك السكير الذي يكون صاحياً ساعة أو ساعتين، ويقرأ لك، ثم يرجوك كمحارب ذاهب إلى حرب عبثية، وتحس بالألم في كلماته وهو يقول لك بنبرة حزينة:

"أرحم عظامي، ومن أجلها أستمر بالكتابة".
حينها ستشعر ببلبلة سوق بابل في داخلك، وستخرج لتبحث عن شابة لتراقصها في ذلك المساء، ولن تسمع نشرة الأخبار، ولا تعير أهمية للأنواء الجوية، وستنسى نصائح طبيبك، وستشكر كلماتك لأنها تعالج آلام المحاربين.

السر لا يكمن في أن تعطي ما تملك لصنعتك. السر كل السر أن يعثر عليك سكران أو مجنون أو صعلوك، ويشتمك ويلعنك ويقول لك:

"ماذا فعلتَ لك لتوقظني من سباتي بكلماتك؟ ماذا فعلتَ بك لتسوق هذه الفراشات البرتقالية نحوي؟".
حينها ستبتسم مثلي وستقول، نعم، الكلمات أيضاً لها سحرها!

لتجري مقابلة معي، لست بحاجة إلى أن تصبغ شعرك باللون الفضي اللامع؛ لأنك مهما حاولت، لن أمنحك نصاً يقرص أو يطعن أو يجرح.

قصائدي تجتاح القرى الطينية وتقلب التنانير السومرية رأساً على عقب، وهي تبحث عن بقايا خبز يابس ـ للكرط ـ وللعبور إلى الجهة البعيدة.

شكلنا مثل كلماتنا، لم يعد مهماً. يقول (راج كابور) وهو يعبر ساحة سيبای الموحلة، حاملاً طرف دشداشته البيضاء بيد، وبااليد الأخرى إعلان فيلمه الجديد.

تتمة ص التالية

كان راج كابور يرفع الإعلان فوق رأسه كي لا يبتل بالطين، بينما كان أهل سيباى ينظرون إليه بدهشة؛ فالرجل الذي جاء من الهند لم يفهم لماذا يصرخ الجميع كلما غاصت قدمه في الوحل. وبعد قليل فهم أن الوحل نفسه كان جزءاً من الحكاية، فخلع حذاءه ومشى حافياً، وكأنه يعرف سيباى منذ طفولته.

تفحص جيوبك جيداً، ففيها بعض حبوب الفيتامينات غير الضرورية مثل كلماتك، وربما ستعثر على مفتاح باب غرفة صديقي الفنان (مروان الرسام)، فقد تركه عندي للطوارئ. ويمكنك زيارته، فهو أيضاً طباخ ماهر، ولكنه لا يجيد التحدث. فقط يرسم ويطبخ ويبتسم، ويدخن، طبعاً، يدخن الكثير من السجائر الرخيصة.

يحيل الكلمات إلى لوحات، وينتقم من سجائره كأعداء، فيشعلها واحدة بعد الأخرى، وحبيبته السابقة تلومني وتقول إنك أنت من حشوت رأسه بكلماتك الفارغة، فتركني وأضرب عن الزواج.

مروان لا يتحدث كثيراً، لكنه حين يرسم يضع أمامه طبقاً من الطعام، وسيجارة، وكوباً من الشاي، ثم يبدأ. لذلك لا أعرف حتى الآن إن كان يرسم لوحاته أم يطبخها.

وفي غرفة مروان لوحة لا تشبه أياً من لوحاته. بيت طيني صغير، بابه مفتوح، وفي داخله رجل نائم. سألته مرة، من هذا؟ فأشار إلى نفسه. قلت له، ولماذا أنت نائم؟ ابتسم ولم يجب. ومنذ ذلك اليوم وأنا أعتقد أن الرجل في اللوحة ليس مروان، بل أحلام مروان التي تعبت من انتظاره.

لا تهمني كلماتي، أأثارت اهتمامك أم لا؛ ما يهمني هو أن أثير أنا اهتمامك وأجعل منك معتوهاً يركض خلف الجوائز.

الذين لا يتكلمون عادة يوافقون على كل شيء. وما أن تتحرك كلماتهم حتى يتهموك بالمجيء إليهم في الوقت غير المناسب، تماماً كرؤساء عشائرنا، المعتوهين.

بعد حرث مجهد، وتعب شديد، ودوخة مستمرة، ستعثر على أحلامك، وبعد فوات الأوان ستعلم بأن الأحلام بحاجة إلى بيت تسكن فيه.

أبوك يريدك مثل القيصر، وأنت تتصرف مثل ميكي ماوس وتصر على تنظيف أذنيك.

التسكع أعطى للأحلام رونقاً شبيهاً بالسنابل السمراء التي تنتظر المناجل بفرح.

يقول الغراب: الجمال يصلح ليكون بيتاً للأحلام، ولكن أمسية في العراء ونار متأججة تتخللها عزف سيئ على الكيتار أو طنبور شنكالي تختلف عن ليلة في جبل شنكال مع نار من خشب البلوط وعرق بعشيقي وجنية تتراقص وتريك درب بيت الأحلام، فتتسلق أقرب غيمة وتنسى بأنك أسرفت في الشرب.

منعاً لأي لبس، الغراب الذي قال هذا، ليس هو ذلك الغراب العطشان الموجود في كتاب قراءة الصف الثاني الابتدائي.

هذا غراب آخر. هذا الغراب قرأ كثيراً، وشرب قليلاً، وهاجر أكثر من مرة، ولذلك لا تثق بكل ما يقوله؛ فالغراب الذي يهاجر كثيراً يفقد أحياناً القدرة على التمييز بين السماء والوطن.

هناك طرق عدة للذهاب إلى البيت، السكر، التأمل، العثور على كابوس مناسب، أو استئجار ليموزين، فلا تنسَ أنك في أوروبا.

التفكير في الحلول يؤذينا جداً، كما الغناء بات يؤذي ياس خضر مؤخراً ـ مات الله يرحمه ـ لذا عليك أن تكون شاكراً على كسرة الخبز التي ستتناولها في العشاء، وإلا غضب عليك الله وأرسل لك لحم غزال مشوياً وبيرة بابلية سوداء.

تتمنى لو تعود فتى في الرابعة عشرة من عمره، لا لتتبين سبب أول ممارسة للعادة السرية، بل للتعرف إلى الفتى ماوكلي، ليقينك بأنه يعرف طريق العودة إلى بيت الأحلام أفضل من صاحب أنكيدو.

الوحدة هي بيت الفن.
الهدوء هو بيت الأدب.
الجنون هو بيت العبقرية.

أما الأحلام فلها بيوت عدة بعدد بيوت قرى شنكال الطينية، وبعدد قصائدي.

بعدد لوحات دالي المجنون لغالا الجميلة، وبعدد لوحات صديقي مروان الرسام التي لا تباع.

ولو كانت الأحلام تباع، لكان مروان مليونيراً. لكنه، لسوء حظه، يرسم في زمن لا يشتري فيه الناس الأحلام؛ يشترون إطاراتها فقط.

الرَّقم القياسي لتناول الموز هـــو لقرد يسكن محبرة كاتب من جنوب أفريقيا، لا يهمه ما يجري في شنكال، ولا يهمه سبب تدمير بيت الأحلام.

والتواصل مع رسامة من (مدينة بريمن) أشبه بتقليد صوت طائر الزرزور وهو يحكي بألم قصص فرامين العثمانيين على الإيزيدية المساكين.

شرف هو وضع قلب الدجاجة المطهي في صحنك، ولكن هذا لا يعني بأنك تعرف طريق بيت الأحلام الطيني، ونصائحي لم تعد مفيدة لك.

لماذا كلما سألنا عن الصغار ترتسم على وجهك بقعة ساخنة من آب؟
وكلما سألتك عن السبايا، تركض في حقل ثلجي هرباً من الجواب المملوء بالسكاكين المسروقة من فيلم (سايكو) لـ(ألفريد هتشكوك).

وأحياناً أفكر أن أكثر ما يخيفنا ليس السؤال عن السبايا، بل أن نجد يوماً من يملك الشجاعة ليسأل: ماذا فعلنا نحن بكل هذه الذاكرة؟ أين وضعناها؟ ومن سمح لها أن تتحول إلى صور معلقة على جدران بعيدة؟

بيت الأحلام زوجة تجيد صنع خبز التنور، وبيت دافئ يغلي على مدفأته قوري الشاي العراقي المهيل، ومزاج يشبه مزاجي لسحب أكبر كمية ممكنة من دخان الغليون، وتحضير دستة أطفال لفرمان قادم.

بيت الأحلام ليس بيتاً مثالياً كما يظن البعض. فيه أطفال يتشاجرون، وامرأة تصرخ، ورجل يبحث عن نظارته وهي فوق رأسه، وقوري شاي يغلي أكثر مما ينبغي، وقط يسرق قطعة لحم من المطبخ، وجار يطرق الباب في أسوأ وقت ممكن. لكنه، مع ذلك، بيت أحلام؛ لأن الإنسان لا يحلم بحياة كاملة، بل بحياة يستطيع أن يحتمل نقصها.

آه، ما أجمل بيت أحلامي.
آه، ما أرعبه!

فالأحلام، مثل البيوت الطينية، لا تحتاج إلى أن تكون كبيرة حتى تسعنا. يكفي أن يكون لها باب. والمشكلة أنني كلما وجدت باباً لبيت أحلامي، اكتشفت أن المفتاح في جيب مروان الرسام، وأن مروان نائم، وأن حلمه هو الآخر يبحث عن مفتاحه.
وربما لهذا كله، ما زلت أفتش في جيبي.

مراجعات

« البرابرة هم المنفذون!! »
بقلم: زيجمونت باومان

شعوب الجبوري
اختيار وتقديم

ت: من الإنكليزية أكد الجبوري

بالنسبة لأولئك الذين خذلتهم الحضارة، فإن البرابرة هم المنقذون. وفي بعض الحالات، هذا ما يسعون هم أنفسهم إلى تصديقه من أجل إقناع السذج بأن الأمر كذلك." (زيجمونت باومان)

مقابلة مع الفيلسوف وعالم الاجتماع البولندي الأصل (زيجمونت بومان، 1925 - 2017)، أجراها الصحفي جوليانو باتيستون.

النص:

مدخل للسؤال؛ بالنسبة لزيغمونت باومان، عميد علماء الاجتماع الأوروبيين وأحد أكثر المفكرين المعاصرين نفوذا، فإن فوز دونالد ترامب الانتخابي هو عرض مثير للقلق: فهو يعكس الطلاق بين السلطة والسياسة الذي ينشأ عنه فراغ يميل إلى ملئه من قبل أولئك الذين يعدون بالسهل. والحلول الفورية للمشاكل المعقدة والمنهجية، بالاعتماد على الاحتياطي الغني من الخطاب الشعبوي.

ترامب - كما يوضح باومان لمجلة (الاسبريسو) - لعب بمهارة ورقة الدخيل والرجل القوي، حيث جمع بين سياسة تمييزية مع التركيز على المعاناة الاقتصادية للمواطنين الأمريكيين، المستمدة من التحول من نموذج اقتصادي شامل إلى نموذج إنه يستبعد ويهمش ويخلق منفيين حقيقيين. لقد قدم ترامب نفسه كترياق لعدم اليقين في عصرنا، لكنه في الواقع سم - بحسب زيجمونت باومان - يبدو من خلاله أن انتصار رجل الأعمال الأمريكي يتنبأ بخطر استبدال الآليات التقليدية للحماية الديمقراطية من خلال "تراص السلطة في النماذج الاستبدادية."

إن رد فعل الأغلبية بين "اليسار الليبرالي"، سواء في أوروبا أو في الولايات المتحدة، على النجاح الانتخابي الذي حققه دونالد ترامب هو الخوف. "إنها لحظة مخاطر كبيرة"، "انتصار دونالد ترامب يشكك في النموذج الديمقراطي الغربي"، سيأخذنا "إلى مرحلة سياسية جديدة، سياسة ما بعد النيوليبرالية وما بعد نهاية التاريخ، لا مثيل لها من قبل أي رئيس آخر يمكن تخيله". "إن انتخاب دونالد ترامب رئيساً ليس أكثر أو أقل من مأساة للجمهورية الأمريكية، وللدستور...

س: هل تتفق مع هذا النوع من الرد المروع؟

ـ زيجمونت باومان: تظهر رؤى نهاية العالم كلما دخل الناس "المنطقة المجهولة الكبرى": اليقين بأن لا شيء، أو ليس الكثير، سيبقى كما هو، وأنه لا يوجد مؤشر على ما قد يحدث أو على ما يمكن أن يحل محل ما نحن عليه تركت وراءها.

ردود الفعل على فوز ترامب، كما تعلمون، كانت لحظية وغزيرة، ولكن من المدهش أنها كانت كلها توافقية، تشبه إلى حد كبير ما حدث في حالة خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وفسرت التصويت لصالح ترامب على أنه احتجاج شعبي ضد السلطة القائمة وضد النخب السياسية في البلاد، التي شعر تجاهها جزء كبير من السكان بالإحباط المتزايد بسبب إهمال التوقعات وعدم الوفاء بالوعود التي قطعتها. وليس من المستغرب أن تكون مثل هذه التفسيرات شائعة بين الليبراليين، الذين لديهم المصلحة الأكبر في الحفاظ على هياكل السلطة الحالية.

من خلال عدم كونه جزءًا من النخبة، وعدم شغل أي منصب منتخب على الإطلاق، ومن "خارج الجهاز السياسي القائم"، ومن خلال عزله حتى عن الحزب الذي كان عضوًا فيه رسميًا (منذ عام 2009، عندما عاد إلى صفوفه بعد أن قضى خمس سنوات مع الديمقراطيين)، مثل ترامب فرصة رائعة وفريدة من نوعها لإدانة النظام السياسي بأكمله دون استثناف. مثلما حدث في الاستفتاء البريطاني الذي اجتمعت فيه جميع الأحزاب السياسية الرئيسية (المحافظون والعمـــــــال

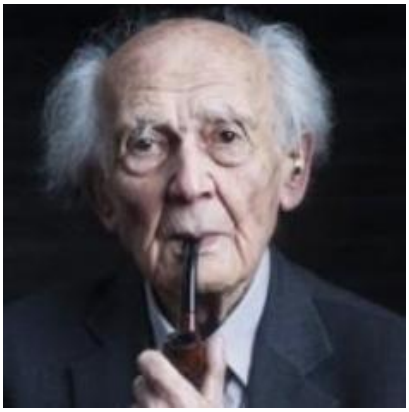

والليبراليون) للمطالبة بالتصويت بالبقاء وبالتالي تمكن المواطنون من استخدام أصواتهم للتعبير عن استيائهم من النظام السياسي بشكل كامل.

وكان هناك عامل تكميلي آخر يتمثل في رغبة السكان الواضحة في استبدال الخلافات البرلمانية المستمرة، رغم عدم فعاليتها وعاجزة، بإرادة "الرجل القوي" (أو المرأة) التي لا تقهر والتي لا يمكن التغلب عليها، والتي تتمتع بالعزم والقدرة على فرض الإرادة على الفور، دون تردد أو تأخير. والحلول السريعة والاختصارات والقرارات الشخصية الحقيقية. لقد بنى ترامب بمهارة كبيرة صورته العامة كشخص يتمتع بالصفات التي حلم بها جزء كبير من الناخبين...

من المؤكد أن هذه ليست العوامل الوحيدة التي ساهمت في فوز ترامب، لكنها بلا شك حاسمة. إن عضوية كلينتون في النخبة المهيمنة لمدة ثلاثين عاما، بالإضافة إلى أجندتها الغامضة والمجزأة، لعبت ضد شعبية ترشيحها.

ما أعتقده هو أننا نشهد استئصالًا لمبادئ الديمقراطية التي اعتقدنا أنها لا يمكن المساس بها، على الرغم من أنني لا أعتقد أن المصطلح نفسه سوف يختفي كاسم للمثل السياسي الأعلى، ذلك "الدال" كما كنت سأقول. لقد استوعب فرديناند دي سوسير ويستمر في توليد "معاني" متعددة ومختلفة. ومع ذلك، هناك احتمال حقيقي بأن تفقد آليات الضمانات التقليدية (مثل تقسيم مونتسكيو إلى

تتمة ص التالية

ثلاث سلطات مستقلة، تشريعية وتنفيذية وقضائية، أو النظام البريطاني للضوابط والتوازنات) القبول العام، سواء تم تجريدها من معناها واستبدالها بشكل صريح أو صريح. بل في الواقع من خلال تركيز السلطة وفق نموذج استبدادي أو حتى دكتاتوري. إن الحالات التي ذكرتها هي بعض من الأعراض العديدة للميل، إذا جاز التعبير، إلى سحب السلطة من القمم النخبوية الغامضة التي تم تركيبها فيها أو حيث تم جرها وإعادتها إلى "الوطن": أي، التواصل المباشر بين الرجل القوي على الرأس ومجموع أتباعه/رعاياه الذين يعتمدون على "شبكات التواصل الاجتماعي" كأداة للتلقين واستطلاع الرأي.

س: وعلى الرغم من إصرار ترامب على القضايا العنصرية والقومية الانعزالية والتمييزية، إلا أنها لم تكن النقطة الوحيدة التي بنى عليها جاذبيته. وقد أكد العديد من المحللين أنه، بصرف النظر عن سلسلة من المواقف الرجعية تجاه الاختلاف، كانت أقوى ورقة لدى ترامب هي القلق الاقتصادي للمواطنين الأميركيين الذين شعروا بالتهميش بسبب العولمة. هل الجانبان، القلق الاقتصادي والقلق تجاه الآخرين، مرتبطان؟ وإذا كان الأمر كذلك، بأي طريقة؟

ـ زيجمونت باومان: كانت الحيلة هي ربط كليهما، لجعلهما واحدًا، لا ينفصلان ويعزز كل منهما الآخر. وهذا على وجه التحديد ما تمكن ترامب، عبقري الأكاذيب (رغم أنه ليس الوحيد على الساحة السياسية العالمية)، من تحقيقه. بل إنني أجرؤ على الذهاب إلى ما هو أبعد من هذا الزواج المبتذل بين سياسات الهوية والقلق الاقتصادي، لأشير إلى أنه كان قادرا على تكثيف كل جوانب وقطاعات عدم اليقين الوجودي الذي يطارد ما تبقى من الطبقة العاملة القديمة والطبقة القديمة. وسائل الإعلام"، وتلقين أولئك الذين يعانون فكرة أن طرد الأجانب، وجميع المختلفين عرقياً، والأجانب الوافدين حديثاً، يمثل "الحل العاجل" الذي طال انتظاره والذي يمكن أن ينتهي بضربة واحدة بكل ما يحمله من قلق. وعدم اليقين.

س: بعض من صوتوا لترامب ينتمون إلى فئة "المطرودين": أولئك الذين كانوا جزءًا مـــن "العقد الاجتماعي" والذين تم تهميشهم أو طردهم قسراً، إلى جانب الشباب والذين لم يكونوا جزءاً منه قط وهم يشكون في أنهم سوف يصبحون جزءا منها في المستقبل (وهو ما يسميه بوافينتورا دي سوزا سانتوس "ما بعد وما قبل التعاقدية"). هل تتفق مع هؤلاء الأكاديميين، مثل ساسكيا ساسن، الذين يقولون إن فوز ترامب يمثل نهاية النموذج الاقتصادي الكينزي الشامل في مرحلة ما بعد الحرب، والذي سيتم استبداله بنموذج آخر يتميز باتجاه معاكس وحصري؟

ـ زيجمونت باومان: إن الانتقال من النظرة العالمية والعقلية والسياسة الاقتصادية الشاملة إلى نظرة حصرية ليس بالأمر الجديد. وقد تزامن هذا التحول بشكل وثيق مع قفزة نوعية أخرى، وهي قفزة مجتمع المنتجين إلى مجتمع المستهلكين، والتي لم تكن ممكنة لولا التهميش، أو بالأحرى لولا خلق "طبقة دنيا" لم تتدهور باحترام فحسب. إلى المجتمع الطبقي، ولكن تم نفيهم بالكامل، وهو نوع من "المستهلكين الفاشلين" المستبعدين لدرجة أنه لا يمكن قبولهم مرة أخرى. إن التوجه الحالي نحو "أمننة" المشاكل الاجتماعية يصب الزيت على النار ويضخم شبكات الإقصاء، وينقل من ينتهي بهم الأمر في هذه الشبكات من فئة أقل، وإن كانت بصفات إيجابية، إلى انقسام مرضي، وإن كان شريرا وساما ومميتا. .

س: في بعض كتبه، على سبيل المثال البحث عن السياسة (صندوق الثقافة الاقتصادية، 2001)، قام بتحليل ما يسميه "الثالوث الشرير": عدم اليقين، وانعدام الأمن، والضعف، وشعور الناس الذين يعيشون في عالم حيث لقد حدث طلاق بين السلطة والسياسة. فهل من المحتم أن يؤدي هذا الطلاق إلى ظهور "الرجل القوي" والشعبوية؟

ـ زيجمونت باومان: نعم، أخشى ذلك. الطلاق الذي يشير إليه يترك مساحة أكبر وأكثر إثارة للقلق، ينبعث منها المزيج المسموم من اليأس والعجز الجنسي. إن الأدوات التقليدية التي كنا نعتبرها مألوفة والتي اعتقدنا أنها موجودة لمحاربة المشاكل والقلق الذي كان يستحوذ علينا، لم تعد موجودة، أو بالأحرى، لم نعد نعتقد أنها قادرة عـــلى الوفاء بوعدها. وفـــي

مجتمع حيث يتضاءل عدد الناس الذين يتذكرون بشكل مباشر ماذا يعني العيش تحت سحر نظام شمولي أو دكتاتوري، فإن "الرجل القوي" (الذي لم نختبره بعد) ليس سماً، بل ترياق: لقدرته المفترضة على معرفة كيفية القيام بالأشياء، والحلول السريعة والفورية، والتأثيرات المباشرة للأشياء التي يعد بتنفيذها باسمه.

س: كتب بيبي جريللو، زعيم حركة (حركة الخمس نجوم) الإيطالية، تعليقًا قصيرًا بعد فوز ترامب أكد فيه على أوجه التشابه بين نجاح حزبه في إيطاليا ونجاح ترامب في الولايات المتحدة، مع البيان التالي: "إنهم هم الذين يجرؤون، العنيدون، البرابرة، هم الذين سيدفعون العالم إلى الأمام. ونحن البرابرة!" لقد اعتدنا على شمول جميع القوى المناهضة للسلطة تحت مظلة الشعبوية، لكن ألا تعتقد أن الشعبوية غالبًا ما تكون تسمية متعددة الأغراض تستخدمها النخب الواثقة من نفسها حتى لا تضطر إلى فهم من هم البرابرة وما هو دورهم؟ يريدون؟ هل يجب تفسير انتخاب ترامب على أنه رسالة إلى النخب؟

ـ زيجمونت باومان: في أوروبا، تتعدد أنواع الصراصير المختلفة. بالنسبة لأولئك الذين خذلتهم الحضارة، فإن البرابرة هم المنقذون. وفي بعض الحالات، هذا ما يسعون هم أنفسهم إلى تصديقه من أجل إقناع السذج بأن الأمر كذلك. وفي حالات أخرى، هذا هو بالضبط ما يرغب بشدة في تصديقه أولئك الذين تم التخلي عنهم ونسيانهم أثناء توزيع الهدايا العظيمة للحضارة. قد يكون بعض أعضاء المؤسسة حريصين على استغلال هذه الفرصة، لأن بعض الأشخاص الذين يؤمنون بالحياة الآخرة سيكونون على استعداد للانتحار.

"المشروع الثقافي للعراق الجديد"
«قراءة وتصورات في المسرح العراقي»

مرّ المسرح العراقي منذ نشأته بمراحل متعددة, وعرف تغيرات كثيرة, فبعد تلك البداية البسيطة التي اعتورتها العيوب في مناحي عدة أصبح المسرح العراقي حتى الأمس القريب يمتلك منجزه الخاص وملامحه الخاصة وإضافاته المميزة في ميدانه وفي التأثير إيجابيا في ميادين أخرى متنوعة, وتميّزت مراحله بتعدد الاتجاهات حيث الواقعية والرمزية والعبثية والصوفية وغيرها. لقد كان لمثل هذه الاتجاهات أثرها الملموس في تنوع المُنجَزالدرامي من جهة وفي طبيعة المتغيرات والتأثيرات في المتلقي وفي الحياة العامة .

لقد كان من الطبيعي للمسرحية الاجتماعية أنْ تدخل في معالجات تلك الحياة وتفاصيلها مثلما كان للمسرحية التاريخية قراءاتها وتأثيرها وكذلك للمسرحية السياسية التحريضية دورها المحرّك؛ ولم يكن التأثير الذي نتحدث عنه قائما على البعد الموضوعي والمعالجات المضمونية فحسب بل امتدَّ لتكون التطورات الفنية الجمالية في المسرح أداة لتطوير الذائقة الشعبية وتفتيح معالم روحية عند الإنسان العراقي مستثيرة في الشخصية العراقية قيما حضارية راقية...

وانطلاقا من هذه المكانة الحيوية للمسرح في حياة الشعب ومن أهمية تفعيل دور المتخصصين ووضعهم أمام مسؤولياتهم التاريخية لبناء عراقنا الجديد, وجدْتُ أنَّ من المفيد تقديم عدد من التصورات التي كان بعضها جزءا من مقترحات لم ترَ النور فـــي ظل نظام القمع وتعطيل الحريات عندما قُدِّمت في إطار أطروحة الدكتوراه التي تلخّص جهودا بحثية طويلة؛ ومعروفة معاناة العلم والعلماء بمجابهة سياسة عسكرة الحياة آنذاك بدلا من رعاية الحياة الإنسانية الطبيعية وتطورها... اليوم أجد نفسي من جديد مقترِحاً تصورات وأمان قد تكون أساسا لمشروع رعاية جدية لمسرحنا العراقي...

ولقراءة المشروع أقدِّمه في الأقسام التالية : ــ

أولا : ما يتعلق بالأبنية ودور المسرح:

عانى المسرحيون طويلا من مشكلة قلة دور العرض المسرحي ومقرات الفرق وأماكن تدريبها .. حتى أنَّ بعضها التجأ لاستخدام الدور الخاصة والشقق الصغيرة وبعض الغرف والدكاكين والزوايا الضيقة منبرا خاصا به فشهدنا على سبيل المثال لا الحصر مسرح الستين كرسي وشهدنا تعطّل مسرح بغداد لمدد متفاوتة عن العمل بسبب النواقص التي أصابته.. وعليه فإنَّ مسرحنا بحاجة إلى ترميم الموجود وتطويره ورفده بالتقنيات المطلوبة وبناء مسارح مناسبة في المحافظات والاهتمام الجدي بها..

على أنَّ فنانينا بقدراتهم الكبيرة والعريقة يستحقون أيضا التطلع لبناء دار للأوبرا و مسرح كبير يليق بمسرحيينا ويكون بشكل يعيد بطرازه بناء ((بيت أكيتو)) الذي يمثل المسرح السومري الأول ولعل مثل هذا المشروع يمكن أنْ يكون جزءا من مشروع سياحي ومن إعمار منطقة أثرية تاريخية عراقية مهمة ضمت أقدم مدن الحضارة الإنسانية فضلا عن آثار المسرح السومري القديم الذي نشير إليه هنا.. فهل سيكون لهذا المشروع حياة؟! إنَّه يعتمد على عوامل عديدة منها بالتأكيد إصرار أصحاب الشأن عليه!

أ.د.تيسير الآلوسي*

ثانيا : الكليات والمعاهد التخصصية:

منذ أربعينات القرن الماضي كان للعراقيين وسائل الدراسة والبحث العلمي في مجال المسرح, وتطور الأمر كثيرا فيما بعد. اليوم لابد من القول إنَّ جميع الثغرات التي مرَّت على المعاهد الدراسية لابد لها أنْ تُعالَج وتنتهي. لذا فنحن أمام عملية تطوير المناهج وتغييرها بما يتفاعل مع التطورات الجدية عالميا.. وتعزيز الكوادر التعليمية العالية وتأهيلها ورفدها بالمصادر والأدوات التي تحتاجها في عملها. من هنا فإنَّ أكاديمية الفنون تحتاج إلى دعم وتطوير جديين على كثير من الصُعُد ومثلها معاهد الفنون فضلا عن ضرورات الاتساع في الظرف المناسب بهذه الكليات والمعاهد بما يغطي حاجة المحافظات كافة. والجدول الدراسي لهذه المؤسسات العلمية ينبغي أنْ يتضمن دعوات لمحاضرين من مختلف البلدان وخبراء في التخصص, مع توفير عوامل الاحتكاك المعرفي الفني عبر مختلف الوسائل المتاحة .. ولاستكمال معالم التطوير للنظر في التصورات المتنوعة الملخصة في النقطة التالية:

ثالثا: تصورات واقتراحات متنوعة:

وردت هذه التصورات في أطروحة الدكتوراه وفي مواضع أخرى لكاتب هذه السطور. وتُعدُّ هذه المقترحات نتيجة طبيعية لتعرّف صاحب هذه القراءة إلى ظروف المسرح العراقي ومساره التاريخي

---

* أستاذ الأدب المسرحي

تتمة ص التالية

عبر دراساته الأكاديمية بخاصة منه النصّ الدرامي الذي تخصص فيه, ومن ثمَّ تعرفه عن كثب إلى ما جابه المسرح والمسرحيين من مصاعب وعقبات, تلك المصاعب التي لا يمكن التغلب عليها من دون تضافر الجهود الجماعية الاستثنائية ومن دون توفير الفرص الموضوعية الكافية لانطلاقة نوعية جديدة في مسرحنا. ومن أجل تحقيق هذا التطور وُضِعَتْ هذه التصورات والاقتراحات:-

1 ـ طبع النصوص الدرامية ونشرها: وليكن ذلك في سلاسل منها, سلسلة لنشر النصوص الحديثة, وسلسلة إحياء التراث الدرامي, وسلسلة الروائع أو النصوص المتميّزة, وسلسلة مسرحية الفصل الواحد...

2 ـ التوثيق والأرشفة :لقد أصبحت عملية التوثيق والفهرسة ضرورة, من دونها, ستظل الدراسات والبحوث تراوح في مكانها وتجابه مصاعب جمة بخاصة عندما يعمل كل باحث بمعزل عن الآخرين, بسبب افتقار المكتبة إلى وجود ما يشير إلى البحوث وإلى النصوص.. وفضلا عن ذلك فنحن بحاجة إلى مركز وطني للتوثيق ولحفظ النصوص يمتلك الإمكانات الكافية لدعم جهود الباحثين. وإلا فإنّه في حالة عدم فتحه لجهود البحث والدراسة سيبقى محض متحف لعرض قليل من نماذج الماضي.

3 ـ إدخال درس (المسرحية) في مناهج كليات الآداب أسوة بما يحظى به الشعر والقصة من اهتمام في هذه المناهج على أنْ تُمنَح الفرصة الكافية لهذا الدرس, كأنْ تُدرَس البنية المسرحية في السنة الأولى والمسرحية العالمية والعربية في السنتين الثانية والثالثة والمسرحية العراقية في السنة الرابعة والقصد من تأخير دراسة المسرحية العراقية, هو من أجل توفير فرصة لعدّ السنة الأخيرة سنة مشروع كتابة النصّ.

4 ـ إقامة مسابقات خاصة بكتابة النصوص ودعم الفائز منها بالنشر والعرض.

5 ـ إقامة دورات الكتابة الدرامية والنقد المتخصص بإشراف كليتي الآداب والفنون. ويُقبَل في هذه الدورات كتّاب المسرحية ونقادها وأولئك الذين يمتلكون أهلية مناسبة لهذه الدورات.

6 ـ إقامة حلقات دراسية على هامش المهرجانات والعروض الموسمية تسبق احتفالات يـوم المسرح العالمي ويكون مـــن مهمات هذه الحلقات الدراسية تقويم النصوص المتنافسة.

7 ـ تطوير نظام المكافآت وتعزيزه باقتراحات مناسبة جديدة, بإضافة جوائز جديدة منها مثلا جائزة النقاد للأفضليات (أفضل نصّ, أفضل مخرج, أفضل ممثلة \ ممثل, أفضل...) والجائزة الأكاديمية التي يمكن أنْ تشرف عليها لجنة من أساتذة الآداب والفنون.

8 ـ إصدار دوريات بالمسرحية بخاصة مجلة شهرية تعنى بدراسات المتخصصين وبحوثهم والاهتمام في الوقت الحاضر بتعزيز النشر في الدوريات الأسبوعية واليومية من خلال توسيع الزوايا وتثبيتها, والتنسيق بين المشرفين عليها.

9 ـ تعيين لجنة مساعدة للفرق المسرحية من كتّاب المسرحية ونقادها أو أنْ تهتم كل فرقة بأنْ يكون لها كاتبها وناقدها الدرامي الخاص بها.

10 ـ ترجمة الدراسات المتعلقة بالمسرحية العراقية بخاصة والمسرحية العالمية بعامة إلى اللغة العربية وتوفير المصادر المهمة والدوريات المسرحية الموجودة في البلدان العربية أولا والبلدان الأخرى ثانيا.

11 ـ تشجيع تشكيل المنتديات المسرحية في المحافظات ودعم الملتقيات المسرحية فيها ترشيح النصوص المتميزة في كل محافظة للتقديم في مسارح العاصمة.

12 ـ دعم الكتابة المسرحية المحلية بخاصة في المحافظات إعلاميا وتقديمها للإذاعة والتلفزيون وتوجيه متابعة أكثر موضوعية (إعلاميا) لمسرحية المحافظات.

13 ـ توفير هوية لنقاد المسرحية والباحثين المتخصصين تساعدهم على حضور (بروفات) وعروض المسرحية وعلى الحصول على المواد والنصوص التي يحتاجونها من مراكز الدراسات والبحوث والتوثيق المتعددة, وتكون هذه الهوية البحثية بديلا لنظام العلاقات الرسمية (الروتينية) وعقباتها الكثيرة.

14 ـ تشكيل هيأة أكاديمية قومية لمتابعة شؤون التخصص الأكاديمي وتطويره من خلال الحصول على عضوية هذه الهيأة , بعد تقديم نشاط بحثي مناسب في الاختصاص. وهذا الأمر يتعلق بتطوير الكادر العلمي المتخصص في الكليات والمعاهد..

15 ـ تشكيل اتحاد المسرحيين وروابط الفنانين العاملين في المسرح كذلك روابط كتّاب المسرحية و (نقادها (المتخصصين على المستويات المحلية والقومية.. على أنْ يكون أساس برامج هذه الروابط هو الدفع بمسرحنا ومسرحيينا العراقيين إلى مستويات أرقى وأفضل. أشير هنا إلى الدعوة الموجهة بغية أخذ زمام المبادرة لتشكيل النواتات التحضيرية لهذه الروابط فورا.

16 ـ إقامة المهرجانات السنوية مثل الاحتفال بيوم المسرح العالمي, إقامة مهرجانات المحافظات, إقامة مهرجان المسرح السومري وإحياء (بيت أكيتو) نفسه, إقامة مهرجان بغداد العالمي للمسرح التقليدي والتجريبي وغيرهما.

قد يكون لتطبيق هذه المقترحات أثره في دعم المسرح العراقي وتطويره بما يرتقي به إلى مستويات النضج الفني العالي. وأجد بشكل مبدئي بوصفي متخصصا بالدرس الأدبي المسرحي فرصة للدعوة لتطبيق عدد من هذه المقترحات في كليات ـ الآداب ـ مثل الحلقات الدراسية, والدورات التطويرية وغيرها من الاقتراحات الملائمة, وهذا الاقتراح يعدّ محاولة أو نواة طيبة لمواصلة العمل بهذه المقترحات. ومن ناحية أخرى أجد أن تسجيل الرسائل والأطاريح المتخصصة بالدراما أمر ضروري اليوم بعد أنْ كانت تعترضه مواقف متزمتة بخاصة في أقسام اللغة العربية. وهناك فرص مؤاتية كثيرة في ظل تطلعنا لعراق جديد توفر إمكانات تطبيق هذا المشروع.

سينما

"حافة الحرب" فيلم إثارة سياسي متوتر... يكشف أحداث الحرب الباردة

(الحرب الباردة) واحدة من أكثر الصراعات إثارة في تاريخ البشرية القصير والمدمر. على الرغم من افتقارها للصراعات العسكرية واسعة النطاق في الصراعات الأكثر شهرة، إلا أن الحضارة كانت يوما قريبة من التدمير المؤكد كما كانت في ذروة الأعمال العدائية .

تهدف دراما " حافة الحرب "السياسية التاريخية إلى التقاط هذا الشعور، مع التركيز على واحدة من أهم لحظات الحرب الباردة عندما وقفت البشرية عند مفترق طرق . تتناول أحداث "حافة الحرب " قمة ريكيافيك الشهيرة . يتبع أول فيلم روائي طويل للكاتب والمخرج (مايكل راسل غان)، نهجا أكاديميا طويلا لتأريخ اليومين من المفاوضات .في أكتوبر من عام 198 جلس الرئيس الأمريكي رونالد ريغان (جيف دانيلز) الذي وصل إلى ريكيافيك مع وزير الخارجية جورج شولتز (جي. كيه. سيمونز). حيث يلتقي الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف (جاريد هاريس) في محاولة متوترة للتفاوض على تخفيضات الأسلحة النووية.

يواجه الرئيس الأمريكي وغورباتشوف عدم الثقة العميقة التي تفصل بين دولتهما - وإمكانية أن يؤدي اتفاق تاريخي أخيرا إلى تخفيف تهديد الإبادة النووية، ريغان لايستطيع الوثوق بغورباتشوف، لكنه مصمم على التوصل إلى اتفاق التسلح. كما أنه مصمم على حماية مبادرة الدفاع الاستراتيجي لديه (نظام الدفاع الصاروخي الذي يطلق عليـــــه حرب النجوم)، والذي يعارضه الرئيس السوفياتي بشدة، مما يؤدي في النهاية إلى مأزق ينتج أكثر لحظات الفيلم توترا . تم هذ الحدث بين القطبين في ذروة الحرب الباردة، ويكرر الفيلم أن هذا الاجتماع هو الفرصة الأخيرة لحدوث مثل هذه الصفقة، يكون السرد في " حافة الحرب "أكثر حيوية كلما كان ريغان وغورباتشوف يتفاوضان ، ويتحديان مواقف بعضهما البعض ، وتسخن الأمور بينهما مع إثارة قضايا تتراوح بين حقوق الإنسان والدين ومبادرة الدفاع الاستراتيجي الأمريكية - حيث يقف كل زعيم على أرضه السياسية والفلسفية .هذان رجلان يحاولان إيجاد طريقة للتواصل مع بعضهما البعض، كل منهما يعرف أن هذه هي فرصته لصنع التاريخ وإنجاز شيء عظيم ودائم . ولكن كل منهم يمتلك نصيبه العادل من الكبرياء والعناد .

يعد الاثنان بالذهاب وجها لوجه كممثلين لإمبراطوريات كل منهما على مصير البشرية . والمحادثات التي استمرت أكثر من 30 ساعة متوترة في منزل معزول على الواجهة البحرية في ريكيافيك، آيسلندا. على الرغم من انتهائها دون اتفاق، لكنها إعتبرت القمة لحظة فاصلة في دبلوماسية الحرب الباردة، جزئيا لأنها قربت الزعيمين بشكل مفاجئ من الاتفاق على القضاء على الأسلحة النووية من بلديهما .على الرغم من أنها ليست هاجيوغرافيا صريحة، هذا الفيلم مؤيد للقيم الأمريكية حتى في اللحظات التي يذهب فيها غورباتشوف إلى ريغان، فإنه يعترف بعيوب الولايات المتحدة. الرئيس السوفياتي "غورباتشوف " كان مشهده البارز حين ينتقد السياسة الأمريكية التي تمنع بـــيع معدات الزراعة وجلب الأبقار

علي المسعود

إلى الاتحاد السوفيتي حتى يتمكنوا من إطعام أطفالهم . يدرك الاثنان، اللذان يجلسان وحدهما على الطاولة، أنهما يريدان إنهاء التهديد النووي، لكنهما يبدآن في الخلاف حول قضايا أخرى. يطلب ريغان معروفا خاصا: السماح لأخت عازف التشيلو الشهير " مستيسلاف روستروبوفيتش "بزيارة شقيقها في الولايات المتحدة بمناسبة عيد ميلاده. يرفض غورباتشوف حتى التفكير في ذلك. يصر ريغان على الاستمرار في اختبار نظام الدفاع الخاص به ، وهو أمر يجده غورباتشوف غير مقبول. يبدأ الاثنان في الجدال: ريغان يوجه طعنة إلى الاشتراكية السوفيتية ، وفي نفس الوقت ينتقد غورباتشوف التاريخ العنصري للولايات المتحدة. تنتهي القمة بإحباط كلاهما، دون التوصل إلى أي اتفاق. لكن وزير الخارجية جورج شولتز (ج. ك. سيمونز) لديه فكرة أخيرة قد تنجح.

تتبع رواية "حافة الحرب" الرئيس رونالد ريغان وهو يحاول إنقاذ صفقة مع ميخائيل غورباتشوف قد تقلل بشكل كبير من الأسلحة النووية للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . تبدو المفاوضات وكأنها تقدم فرصة تاريخية لتوجيه العالم بعيدا عن حرب نووية محتملة. ومع ذلك، يخلق كل اقتراح خلافات جديدة ويزيد الضغط على كلا الزعيمين . يجب على ريغان وغورباتشوف مواجهة ليس فقط الآخر، بل أيضا مستشاريهما ووكالات الاستخبارات والقادة العسكريين وعقود من عدم الثقة بين القوتين العظميين . وفي مرحلة ما، كان حماسهم كبيرا لدرجة أنهم وافقوا على إلغاء جميع أسلحتهم النووية . انهارت الصفقة الكبرى بشكل غير متوقع في اللحظة

* كاتب عراقي

تتمة ص التالية

الأخيرة بسبب إصرار غورباتشوف على أن يتخلى ريغان عن خططه لبناء درع نووي باستخدام نظام دفاع صاروخي ، رفض ريغان وودعهم وهما غاضبان ومحبطان ، لكن ما بدا كخيبة أمل غير مجرى التاريخ ووضع كلا البلدين على طريق تدمير عشرات الآلاف من الرؤوس النووية. بعد عام واحد فقط، وقع ريغان وغورباتشوف أول اتفاقية للقضاء على فئة كاملة من الأسلحة النووية، وهي معاهدة القوات النووية متوسطة المدى.

خطة الرئيس الأمريكي " ريغان "هي استفزاز القيادة السوفيتية من خلال التدخل في موضوع النقاش الرئيسي، وبدلا من ذلك بطلب من غورباتشوف السماح لأخت الموسيقي والقائد الكلاسيكي الشهير مستيسلاف روستروبوفيتش، الذي انشق عن روسيا في السبعينيات، بزيارة الولايات المتحدة في عيد ميلاده. يتم تقويض قوة ريغان بسرعة بعد أن يقترح غورباتشوف تقليصا صادما وغير متوقع في الأسلحة — إلى 50 بالمئة من الأرقام الحالية. يبدأ الفيلم حين يعبر الرئيس الأمريكي " رونالد ريغان" عن قلقه لوزير الخارجية جورج شولتز (ج. ك. سيمونز) بأنه "فشل"، ولم يتمكن من التوصل إلى اتفاق مع غورباتشوف بشأن خفض التصعيد في الحرب الباردة. قبل اثنين وسبعين ساعة، اجتمع قادة العالم بناء على طلب غورباتشوف وناقشوا إنهاء سباق التسلح النووي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، في تلك اللحظة، أسفر عن أزالة 70,000 صاروخ موجهة نحو بعضها البعض وشعوب العالم في حالة من الرهبة.

منذ البداية، هناك عدم ثقة واضحة بين الزعيمين. حتى مع أن الاختراقات الضرورية تبدو وشيكة، فإن عقلية "الثقة ولكن التحقق" التي تقوم عليها المفاوضات تعني أن كل شيء قد ينهار في أي لحظة. يخلق ذلك شعورا مزعجا بالقلق حول مناقشاتهم، ومع ذلك فإن نص المخرج " (مايكل راسل غان) " المحكم يدفع الأمور دائما إلى الأمام. ما يجذب في هذا الفيلم هو وجود الممثلين المعنيين: جيف دانيلز بدور ريغان، لا يلتقط الممثل "دانيلز "تماما خصوصيات صوت ريغان وسلوكياته، لكنه ينقل باقتدار قناعات الرئيس الأربعين . أقرب ما يأتي إليه الفيلم في محاولة استكشاف ريغان كإنسان هو رؤيته لا يزال مضطربا، جسديا وعقليا بعد محاولة اغتياله قبل بضع سنوات . في حين جسد الممثل" جاريد هاريس شخصية الرئيس السوفياتي" غورباتشوف" بشكل رائع .تشير أحداث "حافة الحرب " بشكل غير مباشر إلى زمننا الحالي ، الحرب الروسية الأوكرانية التي تستمر إلى أجل غير مسمى، والحرب الأمريكية- الإيرانية التي تبدو فيها المفاوضات يائسة تماما. تم تصوير "حافة الحرب" في المنزل الفعلي الذي أقيمت فيه القمة)وهو نفس المبنى في ريكيافيك في أيسلندا حيث التقى ريغان وغورباتشوف عام 1986 ، وفي نفس الغرف التي تحدث فيها القادة) مما منح الفيلم إحساسا غنيا وأصيلا بالتاريخ، ويستفيد نص "مايكل راسل غان " من محادثاته مع شولتز قبل وفاة وزير الخارجية في عام 2021 . دراما واقعية ممثلة بشكل جيد مع نص قوي لا يبدو مبسطا لغير المطلعين. يمكن للمشاهد أن يتعرف على جانب من فترة رئاسة " رونالد ريغان "، لكن "حافة الحرب" يذكرنا بأن قمة ريكيافيك، رغم اعتبارها فاشلة في ذلك الوقت، كانت في الواقع واحدة من أكبر نجاحاته.

بينما تجتاح الحروب العالم ويبدو أن القوى العظمى تتجه مرة أخرى نحو سباق تسلح، يذكرنا الفيلم أنه في عصر الاستقطاب، يمكن حتى التغلب على أعمق الانقسامات . بطريقة ما، وجد أشهر مدافع عن الحرب الباردة، الرجل الذي أدان الاتحاد السوفيتي باعتباره "إمبراطورية شريرة" مقدر لها أن تهب في "سلة مهملات التاريخ"، نفسه يلتقي بزعيم الشيوعية الدولية. واتفق كلاهما على أنه حان الوقت للابتعاد عن حافة تدمير الكوكب.

يدور الفيلم تقريبا بالكامل حول هذين الزعيمين، مقدما إياهم كشخصيات حقيقية بالكامل، يكافحان لتجاوز الخلافات العميقة خلال عطلة نهاية أسبوع في منزل هوفدي في ريكيافيك. قام الكاتب والمخرج" مايكل راسل غان " بأبحاث عن قمة ريكيافيك لعدة سنوات .واستخدم نصوص المحادثات التي تم رفع السرية عنها لتطوير النص. الفيلم أهداه المخرج والكاتب إلى شولتز الذي كان مشاركا مباشرة في المفاوضات.كما صورت الإنتاج مشاهد داخل منزل هوفدي الحقيقي، استخدام المكان الفعلي ساعد في محاكاة المساحات الضيقة والأجواء في المحادثات الأصلية. تأكد الكاتب والمخرج "دانييلز "من زيارة المنزل في اليوم الذي سبق بدء التصوير وجلس هناك لبضع ساعات يراجع حواراته ويستمتع بالقصة.قال غان إنه أصبح مهتما بسرد قصة ريكيافيك عندما التقى شولتز في مؤسسة هوفر بجامعة ستانفورد.وأخيرا، أهدى الفيلم إلى وزير الخارجية السابق، الذي توفي عن عمر يناهز 100 عام في 2021.

ملخص الفيلم

يسابق الرئيس ريغان الزمن لإنقاذ اتفاق مع الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف؛ اتفاق قد يؤدي إلى تفكيك الترسانات النووية... أو إشعال فتيل كارثة. وفي ظل تزايد الضغوط من المستشارين وأجهزة الاستخبارات ومن التاريخ ذاته، فإن كل كلمة تُنطق تقرّب العالم أكثر فأكثر من السلام... أو الدمار.

إضاءات فنية

جماليات للعين والذاكرة والذوق...

بيكاسو حين اتسعت الرؤية ولم يعد الشكل القديم يتسع لها

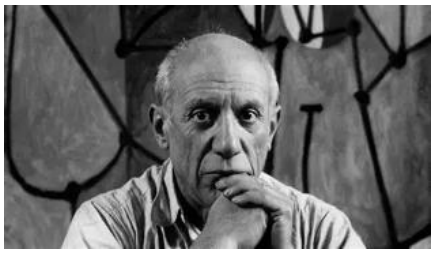

لم يكن بيكاسو يتعلم الرسم لكي يتقنه فحسب كان يتقنه لكي يخترقه. فالرسم بالنسبة إليه لم يكن مهارة تنتهي عند الإتقان، بل عالمًا كاملًا عليه أن يدخله، ويعيش فيه، ويخالط تاريخه، ويعرف أسراره، ثم يبحث في أعماقه عن الطريق الذي يخصه هو. كان المران عنده أكثر من تدريب لليد كان تدريبًا للعين والذاكرة والذوق. ومع تكرار العمل تتحول الممارسة إلى نوع من التأمل العفوي العين تتأمل وهي ترى، واليد تتأمل وهي تعمل، والتجربة اليومية نفسها تصبح طريقًا إلى المعرفة. لا يحتاج الفنان هنا إلى أن يجلس متأملًا فعمله نفسه يصبح تأمله. ومن هنا يمكن فهم عبقرية الهمّ في الفن. كانت والدتي تردد هناك همّ هوّام، وهناك همّ نوّام. فالهمّ الهوّام يتحول إلى حركة وعمل وهيام، أما الهمّ النوّام فيبقى رغبة لا تجد طريقها إلى الفعل. وبيكاسو كان من أصحاب الهمّ الذي لا ينام عاش الفن حتى صار جزءًا من تكوينه، فلم يعد الرسم شيئًا يفعله، بل شيئًا يعيشه.

فالذكاء الطبيعي، مهما بلغت قيمته، لا يكفي وحده. إن الاختلاط والمعاشرة يمنحان الإنسان معرفة لا يمنحها الذكاء وحده لأن ما نعاشره يتحول من معلومة إلى تجربة، ومن تجربة إلى ذائقة، ومن الذائقة إلى رؤية. ولهذا كانت المتاحف، واللوفر خصوصًا، جزءًا مهمًا من تكوين بيكاسو. لم يكن يدخل المتحف كطالب يريد أن يحفظ تاريخ الفن، بل كفنان يعاشر الأعمال بعينه، يرى القديم ويعود إليه، ويترك الأشكال والوجوه والخطوط والتكوينات تستقر في ذاكرته البصرية. وهكذا لم يعد تاريخ الفن ماضيًا بعيدًا، بل أصبح مادة حية في تكوينه. لقد عاشر عالمية الرسم قبل أن يهضمها. وهضمها لا يعني أن يصبح نسخة منها. فالعظيم الذي سبقك قد يكون أقسى اختبار لك لأنه لا يترك لك فراغًا سهلًا تضيف إليه. عليك أن تعرفه جيدًا، وأن تصل إلى عمقه، ثم تخرج منه دون أن تذوب فيه. تهضم العظيم دون أن تذوب فيه ثم تجد نفسك، وتجد قطارك. هذه هي الصعوبة الحقيقية أن تعرف ما رآه الآخرون، ثم تستطيع أن ترى بنفسك. أن تتعلم من عيون السابقين دون أن تصبح محلًا لرؤيتهم. فالعبقرية ليست أن تكون صاحب رؤية فقط، بل أن تمتلك عينًا لا تستعير رؤيتها من أحد. ولم يكن بيكاسو يعيش منفصلًا عن الفنانين والحياة. كان وسط حركة فنية وثقافية واسعة، وعاشر فنانين وكتابًا ومصورين، وكان جورج براك أحد أهم شركائه في تطوير التكعيبية. ولم تكن هذه المعاشرة إلغاءً لشخصيته، بل كانت اختبارًا لها فالفنان القوي أمامك قد يجعلك أكثر يقظة تجاه نفسك، ويضعك أمام سؤال أشد قسوة ماذا تستطيع أن تضيف أنت؟ وهنا يصبح الآخر اختبارًا لا نموذجًا للتقليد. حتى علاقاته بالفنانات دخلت في هذا العالم فقد كانت دورا مار فنانة ومصورة، وكانت قريبة من مراحل مهمة في تجربته، وسجلت بالكاميرا مراحل إنجاز غيرنيكا. وكانت فرانسواز جيلو رسامة أيضًا، وجاكلين روك رافقته في سنواته الأخيرة. لكن قيمة هذه العلاقات ليست في تفاصيلها الشخصية، بل في أنها تكشف أن بيكاسو كان يعيش وسط الفن، والناس، والعاطفة، والحياة اليومية، ثم يحول هذا الاحتكاك كله إلى مادة في عمله.

كان يعاشر العالم، لكنه لا يترك ما يأخذه منه في صورته الأولى. وهذا ما يفسر انتقاله بين المراحل والأساليب. فالفترة الزرقاء لم تكن مجرد لون، والوردية لم تكن مجرد تغيير في المزاج، والتكعيبية لم تكن مجرد مدرسة، وغيرنيكا لم تكن مجرد لوحة سياسية. كانت كل واحدة منها نتيجة لتحول في النظر. في آنسات أفينيون، مثلًا، لم تعد المسألة كيف يرسم المرأة أو الجسد، وإنما كيف يستطيع الرسم أن يعيد بناء ما تراه العين. وفي التكعيبية، التي طورها مع براك، لم يعد الشكل ثابتًا في زاوية واحدة أصبح للشيء أكثر من جهة، وللذاكرة حضور إلى جانب العين، وللزمن أثر داخل الصورة. لم يكن بيكاسو يحطم الشكل لمجرد تحطيمه كان يوسعه حتى يصبح قادرًا على حمل رؤية أوسع. وهنا تظهر إحدى أهم خصائص تجربته أنه لم يسمح حتى لاكتشافه العظيم أن يتحول إلى سجن جديد. فبعد التكعيبية عاد إلى أشكال أكثر كلاسيكية، واقترب في مراحل أخرى من السريالية، وانتقل بين الرسم والنحت والطباعة والسيراميك وغيرها. لم يكن يغيّر أسلوبه لأن الأسلوب القديم فشل كان يغيّره لأن عينه نجحت في رؤية شيء جديد.

هاشم معتوق

وهذا يقودنا إلى نمو الداخل. كلما نما الداخل اتسعت الرؤية، وأصبح البعيد قريبًا، وخفت المسافة بين الأزمنة. والكونية هنا ليست مجرد انتشار العمل في العالم، وإنما قدرة الفنان على حمل أزمنة وتجارب وحضارات متعددة داخل رؤية واحدة، دون أن يفقد نفسه بينها. لكن نمو الداخل له ثمن العجز عن الاكتفاء. كلما ارتفعت الذائقة، أصبح ما كان يملأ الإنسان بالأمس أقل قدرة على إشباعه اليوم. ليس لأنه يرفض ما أنجزه، وإنما لأن حاجته الجديدة أصبحت أوسع من إنجازه السابق. حين اتسعت رؤية بيكاسو، لم يعد الشكل القديم يتسع لها، وحين اتسع داخله، أصبح ما أنجزه أمس أضيق من حاجته اليوم.

تتمة ص التالية

هنا يصبح التجديد ضرورة، لا رغبة في الاختلاف. وكان عليه أيضًا أن يقاوم نظرة الآخر. فالفنان الذي يأتي بما لم تألفه العين لا يواجه صعوبة العمل وحدها، بل يواجه استعداد الآخرين لقبول ما يقدمه. بعض أعماله الأولى واجهت الاستغراب والرفض، واحتاجت أعمال مثل آنسات أفينيون إلى زمن طويل حتى تستقر قيمتها في تاريخ الفن. لكن بيكاسو لم يجعل العمل تابعًا لانتظار الاعتراف. كان يقاوم نظرة الآخر بالعمل يريد أن يثبت جدارة ما يصل إليه، وأن يجعل إبداعه وخلقه منتميَين إليه. ثم تأتي مرحلة أخرى أكثر صعوبة بعد أن يثبت الفنان نفسه للآخرين، ماذا يبقى؟ هنا يبدأ الصراع مع الذات. بدأ بيكاسو يقاوم نظرة الآخر، وانتهى يقاوم رضاه عن نفسه. فنجاحه لم يصبح ذريعة للاكتفاء. كان يستطيع، بعد الشهرة والمكانة والاعتراف، أن يستريح إلى ما أنجزه، لكنه ظل يعمل. وفي سنواته الأخيرة واصل الرسم والطباعة والنحت والسيراميك وغيرها من التجارب، حتى بلغ التسعين تقريبًا. وهنا لا تكون الغزارة مجرد كثرة في الإنتاج إنها علامة على أن شيئًا في الداخل لم يكن قد رضي بعد. كان يرسم لكي يصل، لكنه لم يكن يعرف دائمًا إلى أين سيصل.

كان يعرف فقط أن ما وصل إليه حتى الآن ليس النهاية. الهمّ الحقيقي لا يطلب الوصول فقط يرفض أن يعتبر الوصول نهاية. وهنا تكتسب عبارة الصبر والإصرار والعطش معناها الكامل. الصبر يحفظ الطريق، والإصرار يدفعه، والعطش يمنع الاكتفاء. قد تأتي للفنان فرصة صغيرة، لكنها تكشف خلفها سنوات طويلة لم يرها أحد. الفرصة لا تصنع الجدارة إنها تكشف ما صنعته الجدارة في الخفاء.

ولهذا فإن أعمال بيكاسو لا ينبغي أن تُقرأ بوصفها قائمة من الأساليب المتعاقبة، بل بوصفها سيرة لتحولات العين. كل لوحة مهمة عنده تقول، بصورة أو بأخرى هذا ما استطعت أن أراه حتى الآن والآن عليّ أن أرى أبعد. وهنا تبلغ العلاقة بين الفنان والعمل ذروتها الفنان يبدأ بصنع اللوحة، ثم تأتي لحظة تصبح فيها اللوحة قادرة على أن تكشف الفنان. وفي حالة بيكاسو، وصلت العلاقة إلى حد يمكن معه القول لم تعد اللوحة تشير إلى بيكاسو فحسب أصبحت، في لحظات كثيرة، بيكاسو نفسه. وهذا ما يفسر بقاء تجربته مفتوحة على النقد.

فليس كل ما أنجزه في المستوى نفسه، ولا كل تجربة له بلغت الذروة، لكن قيمة الفنان لا تقاس فقط بعدد الأعمال العظيمة التي أنجزها، بل بقدرته على مواصلة البحث بعد العمل العظيم. لقد كان أمامه تاريخ عظيم يصعب أن يضاف إليه بسهولة، لكنه لم يهرب من عظمته دخل إليه، عاشره، هضمه، ثم خرج منه بصوته الخاص. تهضم العظيم دون أن تذوب فيه ثم تجد نفسك، وتجد قطارك. توفي بيكاسو في الثامن من أبريل 1973، عن واحد وتسعين عامًا، لكن موته لم يكن نهاية الطريق الذي قطعه. فقد ترك وراءه ليس فقط آلاف الأعمال، بل سؤالًا ظل مفتوحًا في تاريخ الفن إلى أي مدى يستطيع الفن أن يذهب عندما يرفض الفنان أن يكتفي بما وصل إليه؟

ربما لهذا لا يكفي أن نقول إن بيكاسو كان رسامًا عبقريًا. كان فنانًا جعل من الفن مسؤولية شخصية، ومن المران طريقًا، ومن المعاشرة معرفة، ومن المعرفة ذائقة، ومن الذائقة رؤية، ومن الرؤية عالمًا لا يتسع له الشكل القديم. هضم العظيم دون أن يذوب فيه، وجد نفسه، وجد قطاره، ومضى به بعيدًا. وحين توقفت يده، بقي القطار يتحرك داخل تاريخ الفن. ولعل هذا هو إرث بيكاسو الحقيقي أن الفنان لا يبلغ حريته حين يتخلص من الذين سبقوه، بل حين يستطيع أن يحمل عظمتهم كلها، ثم يظل قادرًا على أن يقول هذه رؤيتي أنا.

الكاريكاتير البغدادي
مختارات هذا العدد - 15 أيلول 2026

مستقبل العراق

الديموقراطية على الطريقة الأميركية

مَنصُور اَلبكْرِي الإنْسان.. رحل بِهدوء إلى السَّلَام الأبَديّ ، لَكِن إبْداعه الفنِّيَّ سيخلِّده

منصور البكري

ولد في 19 يناير 1956 ـ رحل يوم الخميس 4 نوفمبر ـ تشرين الثاني 2021

"صوت الصعاليك" تنشر رسوم الكاريكاتير للفنان الراحل ((منصور البكري)) التي قام بوضعها في ملف خاص للنشر في الصفحة الفنية التي كان يشرف على تحريرها في "صوت الصعاليك" منذ إصدار عددها الأول في 1 يناير 2021... ننشر ما لدينا من رسوم لشخصيات عراقية وعربية وعالمية.